
THE HOUSE OF THE VAMPIRE
Telegram:@mbooks90
منزل
مصاص
الدماء
رواية
جورج سلفيستر فيريك
ترجمة: حلمي مطر
الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع

(1)

لوح قائد الأوركسترا قصير القامة - والقادم حديثا من صقلية إلى نيويورك – بعصاه في الهواء بمنتهى الحماس، ليغرق برعد المعازف أصوات همهمات المحادثات الجانبية، والضوضاء الناتجة عن أصوات الأطباق. ورغم ذلك، لم تستطع تصرفاته الشبيهة بحركات القردة ولا أصوات الموسيقى التي تصم الآذان المستجيبة لحركات جسده الرشيق، أن تشتت انتباه (ريجنالد كلارك) والشاب المصاحب له، عن شق طريقهما نحو بوابة الخروج.

تعبيرات وجه الشاب كانت لطيفة، مصحوبة ببعض مع لمحات الشجن، بينما وميض عينيه الناعمتين قد أفصح عن دهشة شاعر حالم. ابتسامة ريجنالد كلارك كانت كابتسامة المُنتصر؛ خصال شعره الفضية المزينة لشعر رأسه التاجي قد أضافت هيبة لمشيته، بينما الخطوط الممتدة بلا حدود فوق فمه المكتنز قد تحدثت عن الدقة والقوة. كان بلا شك اشبه بكاردينال روماني تحدر من زمن الـ"بورجيا"، و خرج بمعجزة من قماش الزمن المُلطخ ببقايا تاريخٍ قد انقضى، لينزلق بداخل حُلّة مسائية من القرن العشرون.

وبنظرات الود المختلطة بالثقة بالنفس، أومأ برأسه مستجيبا للتحيات القادمة من كل الجوانب، مال برأسه بأدب خاص نحو سيدة ذات عينان زرقاوان بلون البحر ثبتتهما على ملامحه بنظرة مختلطة بالإعجاب والكراهية. استمرت المرأة – متجاهلة تحيته الصامتة – في التحديق فيه بعيون متوحشة، كروح ملعونة في المَطّهر، تنظر بإعجاب لمشهد دخول الشيطان بزيه الملكي، بعدما مر بدوائر الجحيم السبعة وسبعين.

مشى ريجنالد كلارك بلا اكتراث بين صفوف رواد المطعم السعداء. لازال مبتسما، لطيفًا، هادئًا. ولكن شريكه كان يذكر نفسه بالشائعات التي سمعها عن حب "إثيل براندبورج" المجنون تجاه رجُل لم تستطع حتى الأن أن تشيح بنظرها عن ملامحه. من الواضح أن عشقها كان غير متبادل، ولم يكن كذلك من قبل. ذاعت الشائعات حول علاقتهما التي بدأت منذ سنوات طويلة، في إحدى فترات حياتها المهنية

بباريس؛ وانتشرت الهمسات حول زواجها منه سرا، ليحدث الطلاق بعدها بفترة قصيرة.

لم يتم توضيح الأمر قط؛ حيث التزم كلاهما صمتا لا هوادة فيه عن تجربة الزواج، وكان من الواضح - ولبعض الوقت- أن العبقري ريجينالد كلارك قد استحوذ بشكل كامل على فرشاتها، وحين أبعدها عن طريقه، أصبحت لوحاتها ما هى الا مجرد لمحات مسروقة من فترات فنها السابقة.

أما سبب القطيعة فيما بينهم فقد كان مجرد تخمين غير واضح، ولكن ظهر تأثيره بشكل قوي على السيدة، ليقر بشكل ملحوظ عن مدى قوة ريجنالد كلارك. لقد دخل حياتها، وبشكل مفاجئ! ذُهل العالم أجمع بلوحاتٍ ذات ألوان قمة في الروعة، ثم خرج ريجنالد من حياتها، فانطفأ بريق تلوينها، كغروب شمس يأخذ معه الذهب والعنبر من أوجه الغيوم.

لربما يوضح ذِكر اسم ريجنالد كلارك جزءًا من سحره، فكان بإمكانه -إن أراد- أن يمارس سحرا رهيبا على من يراه، حتى في دوائر مجتمعية لا تكون فيها الشُهرة الأدبية جواز سفر للدخول. رجل خفيا، عميقا؛ نهب خزائن العلاماء الديالاكتيين الوسطيين، وسلب ترسانات السوفسطائيين. وبعد سنوات عديدة، عندما انقضت عليه نسور البؤس ولم يعد يذكر إسمه دون سخرية، كان لازالوا يذكرونه في غرف ستوديوهات الرسم بنيويورك، بكونه الرجل الذي أتقن فن الحديث. تناول العشاء معه كان يعد شرفًا، ودربا من دروب التعاليم الليبرالية. لم تكن قوة حديث ريجنالد كلارك محطا للمقارنة مع أي إنسان آخر.

قفز قلب (إرنست فيلدنج) في مكانه من مجرد فكرة كونه سيتميز – من الآن فصاعدا – بالعيش أسفل سقف واحد مع الكاتب الوحيد في جيله، من بإمكانه أن يضيف للغة الانجليزية القوة والغنى والموسيقى القوية للإيلازيبيثيون.

ريجنالد كلارك كان أيضًا سيد الآلات الموسيقية المتعددة؛ لم يقل أورغن ميلتون الضخم طاعة تحت تأثير لمساته، عن عود صغير لدى مغني فرنسي متواضع. لم يكُن شبيها بأي شخص، وتلك كانت قوته. تحلى أسلوب كلارك بروعة عمود يوناني قديم

مُتقن الصنع، وشيطانية أواخر عصر النهضة. في بعض الأوقات كانت تبدوا كلماته المجنحة ترفرف بشكل محموم كملائكة فن الباروك. وفي البعض الآخر، لم يكن هناك ما يمكن وصف أسلوبه به، أكثر من كونه هادئا هدوءا أبديا، كالأهرامات الهرمة المُنهكة.

وصل الرجلان للشارع، ووضع ريجنالد معطفه الخريفي الطويل على جسده، ثم قال: "أنتظر قدومك غدا في تمام الرابعة". نبرته كانت عميقة ورخيمة، تنم عن عمق ذو ايقاعات خفية، فإرتجف صوت الشاب وهو يقول: "سأتي في ميعادي بالضبط"

- "أتطلع للقائك بمنتهى السعادة، فأنا شغوف بمعرفتك"

تصاعدت دماء السرور لتستقر في وجنتي إرنست، بعد هذا المديح القادم من شفاه أحد حكام الأناقة الأدبية، وتسللت ابتسامة شبه ملموسة – في المقابل- على ملامح الرجل الأخر. ثم قال الصبي – وهو كل ما استطاع قوله-: "أنا فخور بأن عملي يثير اهتمامك".

- "أعتقد أنه رائع للغاية، ولكن في الوقت الحالي..." ثم نظر كلارك لساعته المرصعة بالمجوهرات وأكمل قائلا: "سأضطر أن أودعك".

أمسك بكف إرنست بقبضة عاقلة وراسخة، ثم التفت بخفة بعيدا عن الصبي الذي ظل واقفا، شاغرا فمه. خرجت حشود الناس لتتزاحم ضد الشاب حتى أوشكوا على حمله من على الأرض تقريبا، ولكن عيناه تبعتا خطوات كلارك البارعة، الذي شعر بأن صاحبها منجذب بكل ألياف جسده، لدفء شبابه الكريم.

(2)

شق ريجينالد كلارك طريقه بخطواتٍ مرنة تجاه شارع "برودواي" المتمدد أمامه وأضواء الليل تغمره ، مستنشقا هواء الليل بجال حواسه باستمتاع. اجتذبت المدينة العملاقة عقله الذي احتضن العالم بقوة، بأنشطتها المتعدده.جذبت قوته المغناطيسية الجموع المحتشدة في الشارع كما هو الحال في الصالونات الثقافية، بينما يشق طريقه وسطهم، كنصل شركسي يشق المياه.

بعد مروره ببناية أو إثنتين، وقف فجأة أمام متجر مجوهرات، اصطفت في نافذته أحجار كريمة لا تقدر بمال، لمع ضيها أسفل ضياء المصابيح، كعيون أفعى غامضة ، ألوانها تتعدد بين الأحمر كلون الرمان والأزرق المائي. وبينما هو يقف متطلعا إليها، تحول ضيها المبهر أمام منظور عقله، لشيء عظيم ورائع، لربما يتحول في أحد الأيام لقصيدة.

تحول انتباهه لمجموع من الفتيات الصغيرات يرقصن على الرصيف المقابل على ألحان آلة الهاردي جاردي، فانضم لدائرة المتفرجين لمشاهدة الأنوثة ذات الشرائط الوردية، وهى تتمايل جيئة وذهابًا بانسجام مع اللحن. لفت انتباهه احداهن بشكل خاص – فتاة ذات شعر زيتوني اللون بدت وكأنها قد جاءت من بلاد لا فصول فيها سوى الربيع.

تحول جسدها بأكمله لقطعة موسيقية، وبشعرها الأشعث وأقدامها التي بالكاد لمست الأرض، أصبحت الفتاة كورقة شجر برتقالية أسفل أشعة الشمس. جلبت لها ألحان موسيقى الشارع الخشنة ذكريات سيئة بدت على جسدها الراقص، بصحبة نغمات عازف العود الآخر ذو الأطراف البنية والشعر الداكن. ولعدة دقائق، تتبعها ريجنالد كلارك بعينيه بمنتهى السرور وهو ينظر لكل منحنى رقيق وصفته أطرافها الرشيقة وجسدها. هل أصابها التعب فجأة، أم أن نظرات الغريب المستمرة قد أصابتها بالخجل من شدة التدقيق؟ خرجت الموسيقى من جسدها، وغدت تحركاتها أبطأ، منزوية، وأكثر حماقة.

ماتت نظرات الاهتمام في عيني كلارك، ولكن جسده قد ارتجف كما لو أن ايقاع الموسيقى والرقص قد اندمج مع خلايا دمه. واصل مسيرته، -على ما يبدو – بلا هدف واضح، ولكنه حقيقة كان يتتبع بعصبية خطوات الحشود المتدفقة في شوارع برودواي على كل الجهات، كعملاق تزاد قوته كلما لمس أمه، الأرض. بدا ريجينالد كلارك وكأنه يستمد نشاطه، ويجدد خلاياه مع كل اتصال له بالحياة.

اتجه شرقا، على طول اتجاه الشارع الرابع عشر، حيت ترابطت شرائط الفودفيل الرخيصة معا على شكل لآلئ زجاجية على حلق متوحش. لوحات الاعلانات المبهرجة مغموسة بلون أحمر صاخب، تعلن عن عوامل جذب لما بداخلها.

فوجئ من وقف بالباب بموسيقى شريرة بشكل مثير قادمة من داخل القاعة، فبقى رجينالد كلارك في الردهة، ثم أخيرا قام بابتياع تذكرة مكنته من دخول تلك الغابة المزخرفة. قناصة للجائلين بالشوارع، عدد قليل من العمال والرياضيين المتهالكين بالإضافة لنساء دمرن شبابهن ببودرة الطلاء المتكدسة طبقاتها فوق جلودهن، وحتى تحت أضواء المصابيح، لم يتمكن من إعادة لمحات من جمالهن الفاني، شكّل جميعهم النسبة الأكبر من الجمهور.

لم ينتبه ريجينالد كلارك لنظرات الفضول والمفاجأة والحسد المنصبين عليه، نظرا لأن حماسه قد جلبه للجلوس على طاولة بالقرب من المنصة، وهم بطلب مجموعة من شراب الكوكتيل من النادل الحريص. ترك المشروب دون أن يرتشف منه قطرة، بل ظلت عينه تتفحص الزوار بنظرات الجشع ، إلى أن وجد ضالته أخيرا، فأشعل سيجارة، غير مباليا لمن حوله، فقد ظهرت بيتسي على المسرح، فتاة زهرة الياقوتية.

عندما شرعت في الغناء، كان لازال عقله يتعجب، فكلمات أغنيتها كانت بدائية، لكنها لم تخلوا من متعة قد أذهلت الآذان، رغم أنها صوتها كان رفيعا حد الإزعاج. ولكنها عندما وصلت لذروة قوة الأغنية، تغيرت طريقة كلارك فجأة، فقد وضع سيجاره، واستمع باهتمام شديد وهو يحدق فيها بشغف، تسللت لصوتها إثارة غريبة، أكملتها بتمزيق أزهار الياقوتية من شعرها، وأصاب صوتها رعشة ذات نبرة مثيرة للشفقة، جعلت الجمهور الوقح يتحول من نبذ غناءها، إلى ضحية قد وقعت تحت

تأثير تعويذتها.

كان كلارك أيضا مفتونا بتلك الرعشة، التي كان حزنها اللامتناهي يشير لشكوى نفوس تئن في الليل، عندما تفترس الشهوة المخلوقات لتصيد غنائمها. توقف الغناء، ولازالت العيون المضيئة عليها. ازدادت عصبيتها، وبصعوبة هائلة استطاعت الوصول لنهاية جملتها، وهى تغن السطور الافتتاحية الأخيرة للمقطع الأخير.

ظهرت ابتسامة غامضة على شفتي كلارك، ولاحظت هى نظرة الرجل التي لا هوادة فيها وتعثرت. وعندما ازداد حمل الغناء، صعب غناءها وتشقق صوتها، واختفت الرعشة منه.

(3)

قبل وقت طويل من الميعاد المُحدد، سار إرنست ذهابا وايابا أم مسكن ريجنالد كلارك الفخم المُطل على ريفرسايد درايف. السيارات الحديثة الضارة للطبيعة تطارد بعضها البعض، حاملة لضفاف النهر البارد التوتر حُمى الحياة الأمريكية، ولكن الصخب والضجيج بدا للصبي مجرد نذير مُبشر للمستقبل.

تركه جاك رفيق عمره وشريكه بالغرفة منذ شهر نظرا لحصوله على مكان جديد، مما أشعره بالوحدة الشديدة، لم تتحمل روحه الشابة الهشة يتحمل عقله الهش تلك المخاوف الغامضة التي أحدثها دماغه العصبي؛ عندما بدت له أصوات الهمس وكأنها تطفو من الزوايا الخفية وكأن الدرج قد أوشك على الانفجار أسفل خطوات أقدام غامضة.

كان بحاجة لصوتٍ لطيف مُحب يناديه من وادي الظلال المؤرقة تلك، حيث كانت روح الشاعر بداخله تشتاق لمداعبة خفيفة من رفيق، لتجدد قوته وتشعل في يده سيف الأغنية المشتغل. وعندما يحل الليل، يجلب له – لكلارك- حصاد النهار ، وكأنه أحد المصلين الناثرين للأحجار الكريمة والبخور الأقمشة عند قدمي الآلهة.

بالتأكيد سيكون في غاية السعادة، وبما أن القلب في بعض الاحيان يقود القدمين نحو هدف الرغبات، المتراقصة أمام المرء كفتيات الأحلام متعددات الألوان الكابحات لرغبة النوم والكسل، وجد نفسه يخطو من كابينة المصعد نحو شقة كلارك. هم ليضغط على زر جرس الباب الكهربائي، فمنعه صوت آتٍ من الداخل يتوقف وهو في منتصف الطريق.

"لا، لن أساعدك!"، كان الصوت المتحدث لكلارك. صوت قاس، معدني وصاخب. أجابه صوت صبياني بمنتهى الحزن، لم يكن إرنست ليميز حديثه، ولكن النحيب المكتوم في صوته كاد أن يجلب الدموع في عينيه. علم إرنست غريزيا أنه مشهدا أخيرا لمأساة ما، فابتعد سريعا مانعا نفسه من أن يكون شاهدا على مالا يجب عليه سماعه.

لربما كان لكلارك سببا وجيها في الافتراق عن صديقه الشاب، والذي ميز إرنست صوته وعرف فورا أنه "إبيل فيلتون"؛ الصبي الموهوب الذي أخذه السيد كلارك تحت جناحيه. ساد صمتا مؤقتا في الشقة، قاطعه كلارك قائلا: "سيعود مرة أخرى، في غضون شهر، في غضون عام، في غضون عامين!"

أجابه الصبي وهو يبكي: "لا، لا!...لقد ذهب كل شيء".

- "هذا هراء، أنت متوتر ليس الا. وهذا هو السبب الرئيسي لافتراقنا؛ لا مجال لاثنين متوترين في منزلٍ واحد"

- "لم أكُن محطما من قبل هكذا قبل أن ألتقي بك"

- "هل تلومني أنا الأن على إسرافك في أحلامك المحرمة، ولمحات بدايات مرضك العصبي، أنا هو السبب؟"

- "من يدري؟ أنا مشوش، مشوش للغاية ، لا أعي ما أقوله، كل شيء مبهم، الحياة، الصداقة، أنت! لقد تخيلت أنك تهتم بحياتي العملية، والأن أنت تنهي صداقتنا بدون تفكيرا!"

- "يجب علينا جميعا أن نخضع لقوانين تكويننا"

- "القوانين بداخلنا وتحت سيطرنا"

- "أنها بداخلنا، ولكنها خارجة عن إرادتنا. هى البنية الفسيولوچية لعقولنا، وخلايانا العصبية التي تهيئ حياتنا"

- "رفقتنا العقلية كانت جميلة للغاية...وكان مقدرا لها أن تستمر"

- "هذا هو حلم الشباب. فلا شيء يستمر، كل شيء يخضع لقانون بانتا رِي – كل شيء يسير ولا شيء يسكن-، نحنُ جميعنا زوار في نُزُل، الصداقة كالحب، كلاهما وهم، والحياة لا تأخذ من رجُل لا تتحكم به الأوهام"

- "ولا تملك شيئا لتعطيه اياه"

ودعا بعضهما البعض. وعند الباب، قابل إرنست إبيل، وسأله: "إلى أين أنت ذاهب؟"

- "إلى رحلة صغيرة من المتعة"

عرف إرنست أنه يكذب، وتذكر أنه كان من المفترض أن فيلتون كان يعمل على كتاب ما، مسرحية أو رواية، فخطر له أن يستفسر منه عن مدى تقدمه فيها. ابتسم إبيل بحزن وقال: "لن أكتبها"

- "لن تكتبها؟"

- "ريجنالد هو من سيفعل"

- "أخشى أنني لا فهم"

- "لا تهتم...يوما ما ستفهم كل شيء"

(4)

- "أنا سعيد جدا بقدومك"

قالها كلارك بينما يقود إرنست للاستوديو. كان كبيرا ومؤثثا بشكل فاخر ويطل على نهر هادسون وريفرسايد درايف. تجولت عينا الصبي بدهشة من غرض لآخر، من تمثال للوحة، وبغض النظر عن التفاصيل المتناقضة، إلا أن الترتيب بأكمله قد امتلك أسلوب متميز.

يهمس تمثال "ساتير" بشهواته في أذني لوحة القديسة "سيسيليا"، احتكت أطراف عباءة رب المعرفة "أنتينوس" بلوحة "الموناليزا". ومن زاوية الرف، حدق تمثال سيدة "الروكو" بملابسها الأشبه بالمحارة في صورة تحوي أبو الهول المصري. كانت هناك صورة لنابوليون تواجه صورة أخرى ليسوع المصلوب. وفوق كل هذا، في الاضاءة الخفيفة، أنتج الظل شكلا عجيبا على الحائط للصبي إرنست الذي شهق بتعجب.

تعجب إرنست وقال متفاجئا: "شيكسبير وبالزاك معا!".

فأجاب كلارك شارحا ما يحدث: "نعم، هم آلهتي".

آلهته! بالتأكيد كان هناك مفتاح لشخصية كلارك. آلهتنا هم أنفسنا حين يرتقوا في قوتهم حد الذروة. كلارك وشكسبير معا! حتى بالنسبة لعقل إرنست المُعجب بما يراه، بدا من الكُفر أن نسمي ذلك الفن فنا معاصرا نحترمه على حد سواء مع سيد الشعر الأعظم، الذي ألقى بظلال معرفته على السنوات الماضية، عاطيا اياها قوة وحشية ذات أبعاج هائلة في مجاله. ومع ذلك، كان يوضع كلارك في مقارنة مع بعض الأشخاص من جيله. كان واسع المعرفة وبلا شك، واسع بشكل عالمي، ورغم ذلك ظلت خباياه مخفية، مع لمحات من الفن الاليزابيثي، كونت شخصية كلارك الغامضة المختبئة أسفل ملابسه فن خاص من نوعه.

بالتأكيد كان ذو صلة مع إلهامه المتمثل في آلهته، لم يكن من الغريب رؤية رأس شكسبير الجاثي على نصف التمثال الموضوع خلف كلارك، والذي بدا وكأنه سينهض ليحي مضيفه. ولربما كان وجود التمثال النصفي في الغرفة، يصوغ حياة ريجنالد

كلارك بمهارة وسرية، فروح ريجنالد كلارك كالحرباء، تقتبس لونها من بيئتها، حتى موضوع المقارنات التافه بين الفنانين، والمنزل الذي نعيش فيه، قد يحدد كلاهما مصير الرجل.

عينا الصبي تتفحصان بإعجاب المكان الرائع، الذي قُدِر له أن يزوره، بينما عيون كلارك تراقب تحركاته، كما لو أنها تتبع أفكاره في المتاهات العميقة بداخل عقله. بدا لإرنست، بينما هو تحت تأثير تلك الفانتازيا العابرة، كما لو أن كل لوحة وإناء وتمثال قد انعكس فيه عمل كلارك، نظر الصبي لمخطوطة الماندرين الصينية، فتعجب حين تعرف عليها بأنها واحدة من أروع رباعيات إحدى قصائد كلارك. كان بإمكانه وقتها أن يقسم بأن تمثال الإله القرد الهندوسي الموضوع على مكتب كلارك، كان يرقص على إيقاع موسيقى في عقله هو، استرجعهما أثناء قراءته للرباعيات، بعدما توقف إيقاعهما الغريب عن مطاردته منذ سنوات.

كسر كلارك حاجز الصمت فقال: "هل أعجبك الاستوديو الخاص بي؟"

أعاد سؤال كلارك لإرنست الأخير لأرض الواقع، فأجابه: "أعجبني؟ أنه مذهل؛ لقد حرك بداخل عقلي قطار الفكر الأكثر غرابة"

- "لقد عاصرت أنا أيضا مزاج غريب الأطوال في الليل. التخيل على عكس العبقرية، فهو من الأمراض المعدية"

- "ما هو النمط الغريب الذي اتخذته في مذهبك؟"

- "كنت أتساءل عما إذا كانت كل الأشياء المحيطة بنا يوما تلو الآخر هى – إلى حد ما – تشكيل ناتج عن أفكارنا في الحياة. مثلا، مخطوطات المندرين تلك وتمثال الإله القرد والذي بالمناسبة، قد أحضرته من الهند معي، قد شكلا تأثيرا غامضا علي، لا يقل تأثيرا على عملي الحقيقي"

أردف إرنست باندهاش: "يا إلهي! لقد كان لدي نفس التساؤل"

صاح كلارك بدهشة وقال: "أمر غريب جدا!"

عقب إرنست بسعادة قائلًا: "يقال – ولكنني مؤمن به – أن العقول العظيمة تسير معا على نفس النهج والطريق"

أقر كلارك سريعًا: "لا، ولكنها تصل لنفس النتيجة، بطرق مختلفة"

"وبالنسبة اليك، هل تعطي أهمية كبيرة للخيال؟"

"ولم لا؟"

قالها كلارك وهو يحملق بنص تمثال بالزاك، ثم أكمل قائلا:

"عبقرية هذا الرجل تتناسب مع قدرته على استيعاب العناصر الاساسية لإكمال أعماله الفنية في حياته. إمتك بلزاك تلك القوة الغريبة بشكل ملحوظ، ولكن الغريب في الأمر أن الشرور هى أكثر ما انجذب إليه، فاستوعبها كأسفنجة تمتص المياه؛ لربما لأنها قد تركز بعض منها في تكوينه، وربما أنه قد جال البحار لعدة أميال، ليجمع كل الشرور التي كانت تطفو على المياه وتسبح في الهواء، أو نائمة في نفوس الرجال، حتى تجتمع جميعها في قمة قلمه الحبري. هو أيضا، – هنا عيناه اتجهتا لتمثال شكسبير كرجل يتفحص ملامح أخيه – هو الآخر كان ذو طبيعة ما. وفي الواقع، الطبيعة الأكثر كمالا في كل الفنانين. لم يفوته شيئا، العقل والحياة من الكتب التي يستلهم منها رسوماته، نجح في كل مرة في تشكيل شيئا مختلفا ببراعة. الخلق امتياز إلهي، أما إعادة الخلق، فهى أكثر روعة من مجرد الدعوة لقبول الخالق والوجود، وهى حق الشاعر. استلهم شكسبير ألوانه من العديد من اللوحات. هذا هو السبب في كونه رائع جدا، وعمله أعظم منه بشكل لا يصدق، هذا هو التفسير الوحيد لإنجازاته الفريدة...من كان، وما التعليم الذي حصل عليه؟ وما هى الفرصة الممنوحة له؟ لا شئ، ومع ذلك نجد في عمله حكمة "بيكون"، وخيالات واكتشافات السير "والتر رالي"، وفظاظة "مارلو" اللفظية، بالإضافة لجمال السيد "دبليو" الغامض.

استمع إرنست، مفتونًا بصوت كلارك اللطيف، كان الرجل هو سيد الحديث – بحق -، وامتلك القدرة على وهب الأحلام الشعثاء، جاذبية لا تُصدق.

(5)

قال (ووكهام) النحات: "بالطبع، لهو أكثر الأشياء إثارة للفضول"

سأله إرنست سارحًا بخياله في أبو الهول الذي كان ينظر إليه من زاوية الغرفة، وهو يبتسم له ابتسامة ساخرة تبعد خمسة آلاف من السنين: "وما هو؟"

- "كيف تحدق فينا أحلام الأمس ، كغرباء اليوم"

أجابه ريجنالد: بالعكس تماما، لو أحلام الأمس تعرفنا لأصبح أمرا غريبا. في لحقيقة، سيصبح أمرًا غير طبيعي. السماء من فوقنا والأرض أسفل أقدامنا في حركة مستمرة، كل ذرة في طبيعتنا المادية تهتز بسرعة لا يمكن تخيلها، فالحياة قدرها التغيير".

أردف النحات قائلا: " يبدو أن الأفكار قد تبخرت كالمياه"

- "ولم لا، هل لها ظروف خاصة لغير ذلك؟"

- "ولكن إلى أين يذهبن، بالتأكيد لا يمكنهن الموت تماما"

- "أحسنت، هذا هو السؤال الصحيح، أو بالأحرى ليس بسؤال، فلا شيء يضيع في الكون الروحي"

تساءل إرنست: "ولكن ما أسبابك الخاصة لجعلك تفكر هكذا؟"

أجابه النحات: " ذلك يرجع لسببا واحدا، اعتدت امتلاك شغف ذو دافع قوي، و للأسف فقدته...هل تتذكر؟"

أكمل موجها لريجنالد كلماته لريجنالد: "زهرة النرجس التي كنت اعمل على إكمالها في الأستوديو حين اتصلت بي؟"

- "نعم، لقد كانت شيئا مذهلا رغم أنني لا أستطيع تذكر الموقف في الوقت الحالي"

- "مجرد مهمة جانبية حصلت فيها على دُفعة مُسبقة؛ طلب مني شابا مليونيرا غريب الأطوار أن أنحتها له مقابل ثمانية آلاف دولار. لدي خطة مسبقة لها، وتصور أصلي تماما، ولكني لم أستطع تنفيذه.. وكأن نسيما قد حمله بعيدا عني".

- "هذا مؤسف للغاية"

أجاب النحات: "بالطبع، ما من وصف آخر"، ابتسم له إرنست في شفقة، فالجميع قد علم بمشاكل (الكام ووكهام) الشخصية. بعد أن وقف بداخل قاعة المحكمة عدة مرات في قضية الطلاق، كان يجب عليه أن يتحمل نفقات ثلاثة أسر.

جلس النحات على كرسي مكتب ريجنالد، وبنظرة خاطفة، لمح صفحة انتهت كتابتها على الآلة الكاتبة، وككل الفنانين بنزعتهم الطفولية – مراقبة الأشياء بلا إهتمام، ثم الإهتمام المفاجئ حد الجنون – نظر باهتمام قاتل لدرجة أنه لم يدرك سوء فعلته المتطفلة، ثم صرخ قائلا: "بحق چوبيترا ما هذا؟"

أجابه ريجنالد بلا أدنى شعور بالتفاجؤ: "ملحمة من الثورة الفرنسية"

- "هل تعلم أنني قد وجدت دافعي وشغفي فيها يا رجل؟"

"ماذا تقصد؟"، سأله إرنست ثم نظر أولا لريجنالد ثم وجه نظراته مرة أخرى لووكهام، الذي بدأ بالشك في قواه العقلية.

- "استمع"

بدأ النحات في قراءة النص وهو يرتجف من فرط الانفعال، مقطعا طويلا قد أطرب آذان إرنست به من كم إتقان وحساب قافيته ووزنه، ولكن دون أن ينير ووكهام عقل إرنست فيما يتعلق بمضمون ملاحظاته الخفية، لم يقل ريجنالد شيئا، ولكن البريق في عينيه قد أبدا اهتماما واضحا.

ووكهام قد وجد ألا فائدة من توضيح المعنى بدون تفسير، فقال: "عذرا فأنا أنسى أنك لا تمتلك عقل نحات؛ فأنا أترجم جميع انطباعاتي - على الفور- إلى إحساس مادي ، لا أسمع أصوات موسيقى ولكني أشعر بها وهى ترتفع مع قباب وأبراج بنوافذ

مطلية بصحبة أشكال الأرابيسك، رائحة الوردة ملموسة بالنسبة لي، أستطيع الشعور بها في يدي، لذلك قد أضاف نثرك الشعري لي من خلال تدفق إيقاعه، تبلور واضح لما هو مفقود من تصوري لتمثال زهرة النرجس، تصور ممتد لأجل غير مسمى"

غمغم ريجنالد فقال: "أمرا خارق للطبيعة، أنا لم أختبر حلما كهذا"

علق إرنست، متحفظا فيما أوشك على قولا: "إذا أنت لا تصدق بكونه شيئا رائعًا؟"

- "لالا، من المحتمل حدوثه. ربما كانت زهرة النرجس تلك قد اقتحمت عقله الباطن في نفس الوقت الذي بدأت فيه كتابة هذا المقطع، وبالتأكيد لكان أمرا غريبا لو لم تعكس التيارات الخفية لأذهاننا أسلوبنا"

- "هل تقصد أنه من الممكن لطبيبا نفسيا أن يقرأ أسفل وما بين السطور اللاتي كتبناها، ومعرفة ما عبرنا عنه، ومالم نعبر عنه؟"

- "بلا شك"

- "حتى لو كنا أثناء كتاباتنا، على غير علم بحالتنا الذهنية؟"

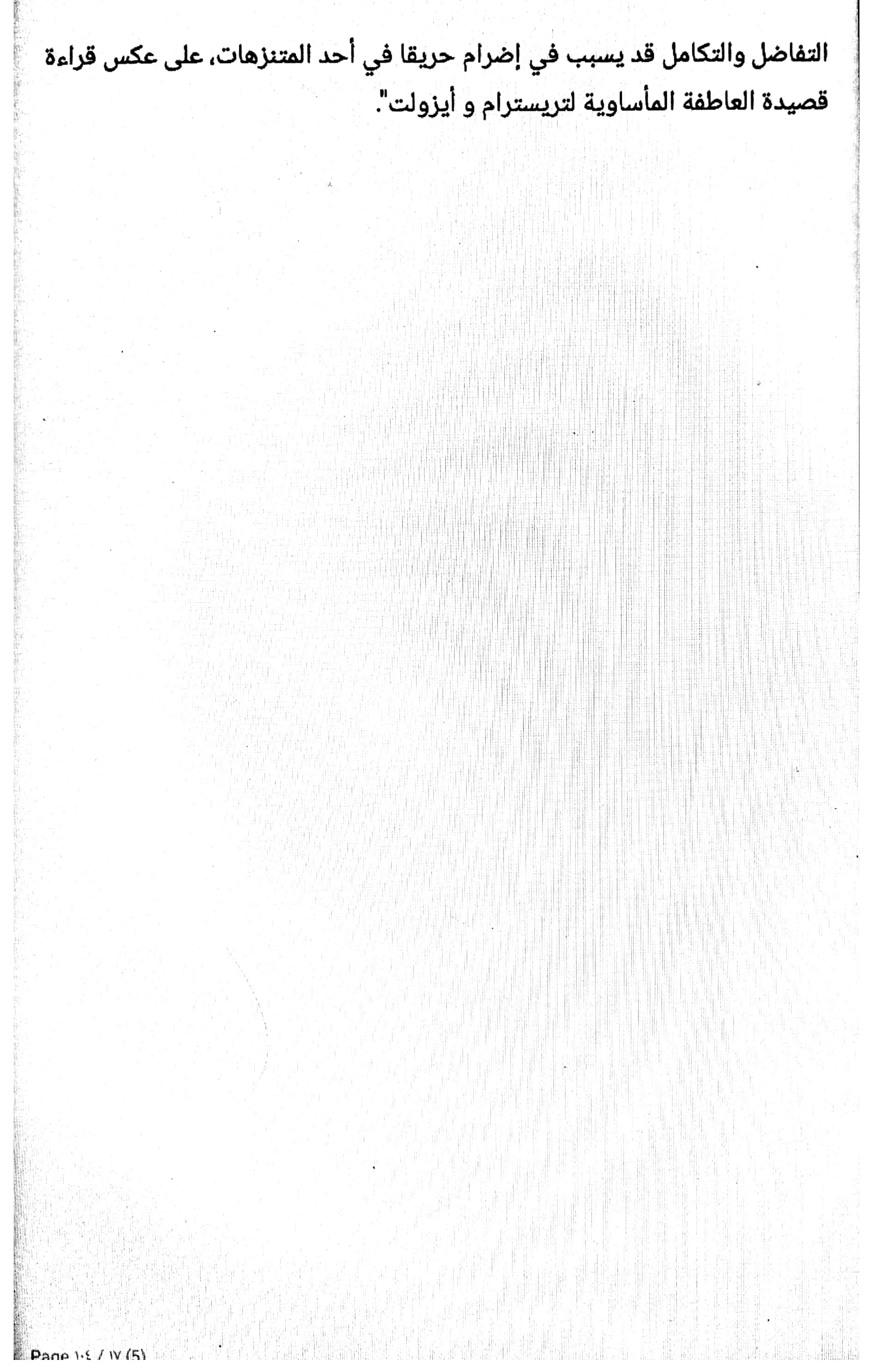
- "فقط أولئك الذين لديهم المفتاح، من يمكنهم قراءة الرموز المخفية. بالنسبة لي، أعتقد أنه أمرا طبيعيًا أن كل حركة ذهنية أسفل أو فوق عتبة الوعي يجب – وبالضرورة – أن تترك بصماتها بشكل خافت او واضح، حسب مقتضي الحال أثناء نشاطاتنا"

أضاف إرنست: "هذا يفسر ظهور كتب قد تبدوا مملة بشكل لا يطاق للأغلبية، بينما تدخل البهجة على قلوب الأخرين"

- "نعم، للقلة التي تملك المفتاح، أتذكر بوضوح كيف أجرى عمي نقاشا حول الرياضيات المتعاظمة، فأحمر خجلا حين نظرت إليه زوجته بنظر شاعرية بريئة"

أضاف ووكهام "عندئذ، قد تسبب الكتب الأقل ضررا استفزازا مباشرا لبذرة التشتيت المدمرة في عقول الشباب"

علق كلارك : " لو أدركوا، يمكنني أن أتخيل أن قراءة كتابا نصيا عن حساب



التفاضل والتكامل قد يسبب في إضرام حريقا في أحد المتنزهات، على عكس قراءة قصيدة العاطفة المأساوية لتريستترام و أيزولت".

(6)

انقضت عدة أسابيع منذ المحادثة الأخيرة في ستوديو ريجنالد كلارك، وجاء الربيع مزدهرا بشكل رائع حيث كست الورود المروج، ورفوف كُتب المُراجعين بالخيال. زاد حساب مراجعات إرنست بشكلٍ جيد، ولكن زهرة ربيع أفكاره لم تتفتح بعد. أسهم في كتاباته عن رجال أخرين، فنسيته موجه الربيع ولم تعطيه باقة أفكار لكتابة قصائده الخاصة، باغتته الأفكار بين الحين والآخر فقط، مثل موجة من الماء، أزعجها القلق فزلزل روحها.

أما شخصية سيد المنزل فكانت بمثابة متاهة معقدة فولاذية الجدران، غلفت أفكار الصبي بشكل لا يمكن اختراقه، ورغم رحلة صديقه چاك الذي جاء جوا في زيارة لجامعة هارفارد، إلا أن الأخير لم يستطع تحرير روح إرنست من هوسه برجينالد كلارك.

مطط إرنست جسده بكسل على الأريكة، بينما يلوح بدخان سيجاراته في اتجاه ريجنالد الجالس على كرسي مكتبه، ثم علق قائلا لإرنست وهو ينظر له من خلال الأوراق: "صديقك چاك مُحبب للغاية... شعره المصبوغ بلون الأبنوس، والمتناقض بشكل جميل مع شعرك الذهبي يجعلني أعتقد أنكما على النقيض مزاجيا"

- "بالفعل نحن كذلك، ولكن جسر صداقتنا قد إمتد فوق شق التناقض ما بيننا".

- "منذ متى تعرفه؟"

- "نحنُ أصدقاء مُنذُ السنة الثانية".

- "ما الذي جذبك إليه؟"

- "ليس من السهل أن يحدد المرء ما يحب وما يكره في الأشخاص، حتى الحيوان البروتوبلازمي ضئيل الحجم يبدو غاية في التعقيد تحت المجهر، نأمل فقط وقتها وبأي درجة ما، أن تتوصل أرواحنا ولو لجزء بسيط من اليقين بعد تحليل ما نراه من خلال الشريحة الزجاجية الداكنة".

- "طبعا، المشاعر الشخصية قد تصبغ نظراتنا نحو الأشياء وتشوه انطباعنا، ومع ذلك لا يجب علينا أن نمتنع عن تحليل ذاتنا. يجب علينا تعلم الرؤية بوضوح من خلال قلوبنا إذا أردنا صبغ أعمالنا بالحيوية. الطيش هو الجزء الافضل في الأدب، ويجب علينا مطاردة كل ما هو حساس ومراوغ من المشاعر، وتحويله إلى نسخة تضيف من قيمة ما نفعل"

- "أنا شديد التحليل لذاتي لدرجة أنني مدرك لمدى تعقيد طبيعتي، وتغلبني الحيرة تجاه تحديد مشاعري. هناك قوى متضاربة تؤثر علينا من هنا وهناك دون إعطاء الفرصة لتحييد مشاعرنا تجاه بعضنا البعض؛ فعلم وظائف الأعضاء ليس بفيزياء أما عن چاك، فهناك الكثير من الأشياء التي تجذبني إليه؛ هو أكثر رقة وتعاطفا، وربما أكثر نعومة من بقية زملائنا"

- "هذا ما لاحظته. في الواقع، رموشه كرموش الفتيات...هل لازلت تهتم به كثيرًا؟"

- "ليست مسألة اهتمام، نحنُ شخصان يعيشان حياة واحدة"

- "كنوع من التوأم السيامية المترابطين نفسيًا؟"

- "تقريبًا، لماذا؟ الأمر في غاية البساطة؛ قلوبنا قد نمت في نفس التربة، تغذينا فكريا من نفس الكتب، واجهنا نفس المصاعب برياحها العاتية التي هزت كياننا، وازدهرت وردة صداقتنا الجميلة تحت نفس الشمس"

- "تلك الأشياء تؤكد لي أن أقول، إذا سمحت لي، أنها اعتيادية جدا بين زملاء مكان واحد"

- "فيه حلاوة خفية ومشاعر عميقة تُظهرها علاقتنا معا. هو الآن يعمل على دراسات عليا في جامعة هارفارد، ولم نلتق منذ شهرين تقريبًا، ورغم ذلك توحدنا خيوط واتصالات غير مرئية- مبنية على تجارب قد خضناها معا منذ سنوات، لتبقينا قريبين من بعضنا البعض"

أردف ريجنالد قائلا: "أنت لازلت صغيرا جدا"

- "ماذا تقصد؟"

- "ها...لا تهتم.."

- "إذن أنت لا تؤمن بإمكانية اتحاد قلبين ليصبحا قلب واحدا؟"

- "لا؛ هذا مجرد وهم سماعي، لا يمكن حتى لساعتين أن يدقا في انسجام تام؛ دائما ما سيكون هناك تناقض، حتى ولو كان متناهي الصغر، سيظل هناك تناقض رغم كل شيء"

قطع حديثهما صوت الرنين الحاد لجرس الباب. وبعد لحظات، برز رأس مجعد الشعر من خلاله. نادى الزائر على إرنست ضاحكا فقال: "مرحبًا إرنست! كيف حالك أيها العجوز؟"

ثم لاحظ الشاب وجود كلارك، فصافح الرجل بشكل غير رسمي، بطريقة – من وجهة نظر كلارك – حيوان عنده لامبالاة، قد تمت تربيته في إحدى الكليات الأمريكية. بدا على كلارك الإثارة من مجرد لمسه ليد چاك، مما جعله يتنفس بصعوبة، ثم توجه للنافذة ليخفي حمرة خده.

كأن چاك قد أحضر معه عبق الشباب الساحر، فأضفى بضغط يده على أوردة العجوز كلارك شرارة، جعلت الدماء تجري في عروقه، وأزهر منتصف العمر براعمه فجعله وكأن الشباب قد عاد إليه من جديد، كزهرة دوار شمس ذابلة، قد حنت عليها الذهبية فأحيتها مرة أخرى.

وجه چاك كلماته لكلارك فقال: "لقد جئت لآخذ إرنست قليلا بعيدا عنك، يبدو شاحبا للغاية، ستحرك نزهة اليوم كرات الدم الحمراء في عروقة"

- "لا شك لدي في إعتنائك به"

سأل چاك إرنست فقال: "إلى أين يمكننا الذهاب؟"

ولكنه لم يسمع جوابا، لأن تشكيك ريجنالد قد أثر بعمق في إرنست، أكثر مما كان يعترف لنفسه به خفية.

(7)

حمم الصديقان أرواحهما بنسيم البحر، وعينيهما بضياء أشعة الشمس. تصارعت ضدهما موجة الإنسانية المحبة للمتعة، فدفعت أقدامهم نحو كازينو"لَيون بالاس". وهناك، جلسا على طاولتهما يرتشفان الويسكي، ويشاهدان خفقان قلب الحياة المحمومة للمدينة، وهو يضخ دماء السعادة في عروق "كوني أيلاند"، بعدما انجرفا إليها من شاطئ "برايتون".

نفخ إرنست حلقات الدخان بتركيز في الهواء ثم قال لچاك: "هل لاحظت النظرات الشرسة من هؤلاء الأغنياء المتوحشين تجاهنا نحنُ متوسطي الدخل، من قرروا اقتحام جنتهم الخالدة فجأة ؟"

كان چاك في عالم آخر، يدقق نظره في عينات مؤنثة من بقايا نساء يتراقصن وسط الحشود، فأجاب إرنست قائلا لنفسه "بالطبع، الأمريكي الساعِ وراء الأوقات الحميمة، يشبه الصياد الذي لا يكل حتى يصل لغايته. ولكني متأكدا من أن عِرقَهُ المجنون هو مثال حي على السعي الباطل خلف المتعة، كصوت صراخ أبديّا ، لا يحصل على الإجابة أبدًا".

رفض عقل چاك حث أذنيه على الاستماع، فهناك أوقات محددة في حياة كُل رجل، يفضل فيها التنورة القصيرة ، على فلسفات الحياة الأكثر جمالًا.

شعر إرنست بالضيق، ولم يخلو من بعض تذمرات الاحتجاج الصامت حين دعا چاك إلى المائدة مخلوقات، كانت في أحد الأيام من النساء.

- "لماذا؟"

- "ولمَ لا؟ فهن مثيرات للغاية"

- "للأسف أنا لا أرى ذلك"

تلك المخلوقات قد شهدن – بالطبع – أوقات أفضل من تلك، ثم هاجمتهن الخسائر المالية، ليضطررن للعمل في أحد المصانع أو المحلات حيث يعلو صوت

المادة المُغري، في برية التجارة الموحشة.

اختارت إحدى تلك المخلوقات – لسبب غريزيا – مقعدا ملاصق لمقعد إرنست، وظلت تثرثر في أذنه بلا توقف كما كانت مستعدة دائما ان تفعل مع أحد الرجال، ليضطر بعد ذلك لدعوتها إلى مشروب. ولكن شيئا فيها قد جذب انتباهه بشكل خاص.

- "وفجأة ابتسم لي الحظ؛ فمدير إحدى المسرحيات الهزلية، والذي كان صديقي بالمناسبة، قرر إعطائي فرصة. شعر بأن صوتي جيدا، فأطلقوا على (بيتسي)؛ فتاة زهرة الياقوتية. اعتقدت أن الناس قد أحبت صوتي، ولكني في الحقيقة كنت وجهًا جديدًا فقط. إلى أن قامو بتسريحي بعد شهر أو اثنين"

- "لماذا؟"

- "لا شيء، أصبحت مُستهلكة ليس إلا. لم يكن صوتي جيدًا للدرجة، لربما بسبب السجائر، أو النبيذ أيضًا...أنا أعشق النبيذ"

ثم ابتلعت ما بكأسها دفعة واحدة.

- "وهل تحبين وظيفتك الجديدة؟"

ولم لا، ألست شابة، وجميلة؟"

قالت كلماتها بغباء صبياني، ولكنه مميزًا كفاية ليصف ما هى قادرة على فعله. وإذ به تقوم مسرعة، لتتجه نحو اليخت البخاري. وجه إرنست سؤال لجاك، شبه موبخًا إياه فقال:

- "هل استمتعت حقا بتلك المحادثة؟!"

- "ألم تستمتع أنت؟"

- "هل أنت جاد!؟"

- "نعم، ولم لا؟ الفتاة مقبولة جدًا"

عبس وجه إرنست، فأكمل چاك: "نحن في العشرون من عمرنا يا إرنست، اعتبرها دورة تدريبية قصيرة في علم الاجتماع يا صديقي"

- "تدعى سوزي، أليس كذلك؟"

- "نعم"

- "إذًا هى تمتلك اسمًا"

- "بالطبع"

- "لا ينبغي لها، كان يجب أن تمتلك رقمًا"

- "قد لا تكون من شخصيات المجتمع المهمة؛ ومع ذلك فهى وأمثالها بشرًا"

قال إرنست بحُزن: "بالتأكيد، وهذا هو أفظع ما في القصة"

(8)

القمر مضيئا بشكل مشرق، ومقدمة اليخت الليلي تشق البحر فاصلة زبده عن مياهه. الأجواء بها أحاسيس مختلفة تأتي من كل حدب وصوب؛ رائحة أجساد الشباب المفعم بالحياة، أصوات الضحكات، تصادم الكؤوس بالمشروبات، أصوات الهمهمات، آلة البيانولا تلهث من شدة عزف صاحبها، أصوات الأقدام الراقصة وأخرى لتبادل كلمات الحب والغزل، لهجات مبتذلة صارخة، صخب النوادل، أصوات رُضع تبكي، طفل يبيع الحلوى القطنية.

جلس الصديقان في قمة اليخت، مختبئين أسفل معاطف المطر الطويلة، بينما علت أبراج "إمباير سيتي" على طول المدى، لتشق الضباب.

- "تحدث يا إرنست، أتحفنا ببعض أشعارك القديمة كما تعودت من قبل. هل إلتصقتا شفتاك؟ أم أنت سارح بخيالك متذكرا (كوني أيلاند)؟"

- "أوه، بالطبع لا، لقد مسحتها من ذاكرتي كريح تقتلع بيتا من جذوره، قديما قد طبعت على عقلي قبلة اعتقدت أنها قد تدوم، ولكن لا أثر لها الآن"

تطلع لوجه صديقه، تقابلت أياديهم، وتفحصا جمال الليل المُكلل بجمال صداقتهما الطاغي على ذكريات المدينة القديمة. تحركت شفتي إرنست بنعومة، ارتجف صوته بعزوبة وشجن غريبان، ليبدأ في إلقاء سحره الشعري:

وحوش ضخمة بضلوع فولاذية تشق السماء

أبراجها البالية ترتفع مثل الثعابين المذهبة

وقطارات تنزلق مسرعة نحو مخابئها،

أو تزحف بهدوء لابتلاع أخرين غيري.

ألف جوهرة تضيء السماء في شعرها،

والبحر تاجها والسماء نبضها

نضبات تعدت القلوب والحياة،

تقف هناك، جريئة، لاهثة أنفاسها.

تستمع دائما للضجيج المتواصل،

منتظرة حبيبها، الذي سيأتي قريبا،

شفتيها تغني بجرأة جاعلة كل شيء آخر

غبيا، باهتا، ضعيفا.

والروعة، والجنون، والخطيئة في عيونها

قد جعلت كل حلم أخر حديدي، والأفكار حجرية.

انتهى إرنست، وساد الصمت بينما انزلق القارب بخفة فوق المياه، ولم يتكلم أحد الصديقين لفترة. بعد ذلك كسر جاك حاجو الصمت فقال: "وتحلم بأن تكون الشاعر الغنائي الأشهر بالمدينة، بوصفك -إياها -بأنها جعلت كل حلم آخر حديدي، والأفكار حجرية؟"

أجاب إرنست ببساطة: "لا، ليس بعد. غريبة هى الانطباعات المستجيبة لها عقولنا؛ رغم وجودي في منزل كلارك الأكثر إلهاما على الإطلاق، هجرني الإلهام تماما. لكن بينما كنت أنا مع تلك الفتاة خطرت ببالي أفكار كثيرة، كبيرة...أفكار حقيقية"

- "هل ستتعامل معها في شيء؟"

ابتسم إرنست وأجابه: "لا، هى شخصيا لا علاقة لها بشيء، على الأقل ليس بشكل مباشر، كل ما في الأمر هى الأجواء المحيطة للقائنا، اللحظات المحمومة بدماء الأفكار والوحي....من يعلم"

تنبه جاك لكلمات صديقه فسأله بحماس: "ما هو العمل الجديد؟!"

- "لربما مسرحية؛ مسرحية رائعة. وبطلتها ستكون أميرة، أميرة صغيرة بوشاح أصفر"

- "وما هى الحبكة؟"

- "هذا أمر تحديدا لا أستطيع البوح به لك الأن ، ولا لأي شخص. كل ما سأعدك به، هو أنك ستتفاجأ، وستضرب المسرحية الجماهير كالعاصفة"

- "إذن هى ستُعرض!"

- "على ما أظن أنها ستعرض في مسرح برودواي خلال سنة"، ثم أضاف إرنست بلطف: "وسأحجز لك مقعدين صندوقيين في أول أيام العرض"

ضحك كلاهما، وتقافزت قلوبهم بداخل صدورهما من متعة الفكرة. علق چاك بعد دقائق قائلا: "أتمنى أن تنهيها قي القريب العاجل، فأنت لم تعمل على شيء منذ مدة طويلة".

- "قفزت في عقلي نفس الفكرة ليلة أمس قبل مجيئك مباشرة، وتسببت في خفض روحي المعنوية"

أردف چاك: "أوه، حقا" ثم تفحص وجهه قليلا قبل أن يكمل: "ولكنك الأن متوهج بدماء الحيوية أكثر من شخص قد تعرض لقبلة فتاة جميلة".

علق إرنست متنهدا بارتياح: "حمدالله، حاليا القوى الجبارة بداخلي تصوغ فكرا نقيا. قد يمسكنا الشوق من حلقنا للحظات، وقد نشعر برغبة بجلد ظهورنا وغمر أرواحنا في لهيب المحاولات المتكررة، ولكن متعة أداء النشاطات هى العاطفة المطلقة".

(9)

بدا الانكباب على العمل بالنسبة لإرنست كلسعة المتعة، مقارنة لشخص عادي آخر، يجهد نفسه بلا هوادة. منحته كتابة المسرحية متعة لقواه الفكرية، وزودته بالرضا الحسي، كإحساس الوجود في حضن امرأة. زاد بريق عينيه، اشتدت عضلاته قوة، كان يشعر بسعادة البشر أجمع. رغم أن بعض الأمور المادية كانت تعيق طيرانه بمخيلته، كالأحجار المعلقة في جناحي طائر، ورغم ذلك استقر مستوى طيرانه دون الهبوط.

انتظرت المجلات كتاباته، ولم يكن في وضع يسمح له بتأخير ما يعمل عليه؛ فقد أنعموا عليه بالخبز والزبدة – الأموال-. وطرديا مع زيادة كميات الخبز والزبدة، كانت المسرحية تزيد مشهدا تلو الآخر. كان يغزل في ساعات الليل المتأخرة على نول خياله الرائع العبقري، قادته الرغبة السريعة، الثقيلة، المتعطرة، المكونة من أجزاء متشابكة من الرقة والعُنف.

تشابك خيط حياته مع قصته، ولم لا، فكل فن أصيل يعد في ذاته سيرة ذاتية. ومع ذلك، فليس لها بالضرورة أن تكشف عن الخبايا الحقيقية للفنان، ولكنه يكشف بشكل غير مباشر عن عدد لا يحصي من القدرات الذاتية، أوه...القدرات الذاتية!

أحيانا تكُن جميلة، وبشعة أحيانا أخرى، ولكنها في المجمل رائعة. نول المخيلة يلوح دائما في أفق السماء مبتعدا عن أيادينا، بينما الجحيم قريب منا، يتثاءب بخبث تحت أقدامنا مباشرة.

الرجل القادر على امتلاك الجنة والنار بيديه، هو رجل كامل. ولكن هناك الكثير من الجنانِ والجُحَم، والفنان الأصيل هو القادر على سرقة نيران الإبداع من كلاهما. حتما أن القاتل لا يشعر بشهوة القتل أكثر من شاعر يصور وصف الجريمة بكلماته المتوهجة، فالأشياء التي يكتبها هى عين الحقيقة تماما كالأشياء التي يعيشها. الشاعر في مملكته هو الأسمى، وإما أن تكون يده حمراء بالدم، أو بيضاء كالمجذوم، ورغم ذلك، هو لا يزال ملكا.

ولكن ويلا له لو تجاوز حدود مملكته، وترجم مشاعره وأحلامه لأفعال. فالحشد الذي إعتاد أن يصفق له، سيرجم جسده المرتعش ألما، أو سيصلبه بمسامير في قدميه ويديه الرقيقتين.

مرت أيام أ خرى فقد فيها إرنست الشغف والتركيز، ولكن حمى العمل كانت تصيبه مرة أخرى، فيرجع لسابق عهده؛ راصًا اللؤلؤة تلو الأخرى، خيطا تلو الآخر، دون أن يضع كلمة واحدة في أوراقه. شعر أحيانا أن مناقشة أعماله دون وضع اللمسات النهائية لهو أمر غير لائق. وفي الآونة الأخيرة، شعر كمن تُسرق أفكاره، أو بالأحرى، بدأت الأحداث التي رتبها في الهرب من عقله كلما حاول الإمساك بهم.

أما ريجنالد، فقد أصابه التوتر والاضطراب في العمل أيضا. لم تسنح لإرنست الفرصة للتحدث معه بشكل واسع؛ مجرد تلميحات وإسقاطات من خططه بين الحين والأخر، متجنبا الحديث وقت الطعام، الذي كان يُعد بمثابة التدنيس، لتلك الأوقات المقدسة.

غروبا يتبع الأخر، وليلة تتلو الليلة، إلى أن أتاح الولد المراهق (إبريل) المجال، لتتقدم السيدة (مايو). اكتملت –تقريبا– المسرحية في ذهن إرنست، إقشعر جسده من ألم تخيل المعاناة الجسدية لتدوين ما غزله خياله، شعر أن نقل الأفكار والأحداث من عقله إلى الورق سيتحوذ على كل قوته.

النهار كان سعيدا بصحبة الشمس له، فقرر إرنست أن يخرج في نزهة بمفرده بجانب سياج الأوتاد الخشبية لتصفية أعصابه تماما، استعدادا للمهمة النهائية. أخبر ريجنالد بنيته، ولكنه لم يتلق الكثير من الكلام، كان ريجنالد شاحبا للغاية، مبديا ملامح مرهقة لشخص يعمل طوال الليل حتى وقت متأخر.

سأله إرنست بقلق صادق: "لابد وأنك كنت مشغولا بشكل رهيب".

أجاب ريجنالد: "نعم، تلك هى طبيعتي؛ دائما ما أعمل في أجواء ملتهبة، أشعر بالقلق والتوتر، تصيبني العصبية والحمى الفكرية، ولا أجد السلام النفسي إلا بعدما يلد عقلي ما كان يقتله بصخب الصراخ".

- "وما الذي كان يشغل عقلك، أهي ملحمة الثورة الفرنسية؟"

- "أوه، لا..لم أشغل تفكيري بها، في الحقيقة لم أخط خطا واحدا في هذا العمل منذ أسابيع، منذ اتصال ووكهام، لم أستطع ببساطة. بدا الأمر كما لو أن يدا قاسية قد هشمت شبكة أفكاري. الشعر في مجال الكتابة كالزجاج الساخن الأحمر في عملية ما قبل تشكيل الفنان له لأشجار وطيور، قد يشوهه تيار هواء ناتج عن فتح الباب فجأة. أنا حاليا أعمل على شيء أخر، ليس وعاءً زجاجيا مغزولا، ولكنه من الذهب الخالص المصهور".

- "أنت تجعلني قلقا للغاية لمعرفة ما تخبئه لنا. يبدو أنك قد وصلت لنقطة ما، لم يعد بإمكانك فيها تجاوز نفسك"

إبتسم ريجنالد وقال: "مديحك كريم للغاية، ودافئ كأشعة الشمس الذهبية. أعترف بتميز تصوري؛ فهو يجمع بين نُضج تفكيري، ونضارة نصف ربيع عمري الجديد".

فاضت مشاعر إرنست بالبهجة، واستجابت روحة للمسة ريجنالد الفنية كقيثارة تعزف في الرياح، فصرخ بشغف: "متى سأتشرف برؤية عملك الجديد؟"

شردت عيون ريجنالد تجاه طاولة المكتب الخاصة به، ثم أجاب قائلا: "إن صفحت عني الآلهة، فسأتمكن من الانتهاء منها الليلة. غدا حفل استقبالي، وقد أقسمت أنني –ربما – سأقرأها لهم"

- "وأنا أيضا سأتمكن في القريب من جعلك تطلع على مسرحيتي"

- "دعنا نأمل ذلك"

ختم ريجنالد الحوار بلامبالاة مزينة بغرور فنانٍ، قيد الآخرين بسلاسل عمله، مانعا إياهم عن الآمال والأحلام.

(10)

تجمعت الحشود في تلك الليلة اللامعة بمنزل ريجنالد كلارك. وقف الرجال والنساء في الأستوديو والصالون المجاور له يتبادلون همهمات مستمرة، بنغمات مضبوطة، تألقت المجوهرات على حناجر بيضاء عارية، كما لو أن أرواحهن قد شحِنت فيها، بصحبة فساتين حريرية تمسك بأجسادهن النحيلة، الحاملة لرؤوس ذوات شعور متموجة. بينما تنبعث رائحة عطور خفية من النساء الأخريات المتحررات، العاشقات للحرية، ممزوجة برائحة أجسادهن الممتلئة. شموع معطرة تطلق روائحها في الهواء، وينبعث دخانها ليعكس أضواءً عصرية تضفي إشراق زائفًا على وجوه الرجال، بينما بدا كل شعاع منعكس من مجوهرات النساء وشعورهن على الجدران، وكأن هناك شياطين تتراقص بداخلها.

اجتمع كل شخص- كان في يوما ما بلا قيمة- بداخل دائرته الخاصة، وجمع من حوله المعجبين لتعويض نقصه الشديد. صعِب وجود أي عنصر بوهيمي في ذلك الحفل، ولكنه لم يكن مفقودًا تماما. أعمي سحر ذكر اسم ريجنالد كلارك السيدات الموجودات في الحفل، عن الرجال الآخرين الذين كانوا ليمروا بجانبهن في الشارع، دون التعرف على ملامحهن من الأساس.

راقب إرنست التجمع الرائع بنظرات السائر أثناء النوم. لم يكن إحساسه الروحي – يوما ما- قابل للتأثر بالأجواء الثقافية المختلطة بالفساد المتغلغل فيهم، ولا للمؤثرات اللونية المبهرة التي حازت على إعجاب عينيه. كل هؤلاء قد ذبلوا تماما هذه الليلة أمام رؤيته الداخلية للأمور؛ قصر مبني على أرض الأحلام المتوهج، مسرحيته ومشروع أحلامه، كلاهما قد انبعثا من تلك الليلة الفكرية غير المكتملة.

شيئا رائعا، حقيقيا، تتقافز الأفكار بداخل عقله، ولم يكن مطلوبا سوى استكمال بناء ما قرر أن يشيده. الشخصيات الأن تحوم بداخل تجاويف عقله، يتوقون لترك تلك المتاهة الملبدة بالغيوم وتضربها الرياح، ليصبحوا كائنات حقيقية من ورق وحبر...لربما كان سيظل لفترة أطول في قصره الخيالي، لولا ظهور ضيف غير متوقع في حلمه.

صرخ إرنست بدهشة: "چاك! اعتقدت أنك الأن على بعد أميال مني".

أجابه چاك بمرح: "وهذا يثبت أنك لم تعد تهتم بي، لقد كنت تشعر بوجودي عندما كنا صغارا"

- "ها، نعم، لربما كنت أفعل...ولكن أخبرني، من أين أتيت؟"

- "لقد اتصل بي كلارك بعدما سافرت مسافة طويلة، كانت من المفترض أن تكون مفاجأة سارة، ولكن ها أنت ذا، متفاجئا، فقط. لقد أتعبني العمل حقا، ولكنك تعرفني جيدا؛ أحيانا يهمس في أذني شيطانا متحديا إياي بارتكاب أفعال حمقاء، ولكن خمن ماذا؟ ساقي قويتان بدرجة كافية تجعلني مسيطرا على حماقاتي"

- "لقد كان من دواعي سروري أن تأتي. في الواقع وجودك يسعدني للغاية، أشعر أنني في حاجة إليك الليلة، لا أعرف لماذا، جاءني الشعور فجأة من حيث لا أدري، كل ما أعرفه أنني بحاجة إليك...إلى متى يمكنك البقاء؟"

- "سأضطر للمغادرة صباحا، لدي الكثير لاستذكاره، أنت تعلم أنني سأخضع لامتحان خلال يوم أو اثنين، ولدي الكثير لحشوه بداخل رأسي"

- "ومع ذلك، فزيارتك تلك ستعوضك عن ضياع الوقت؛ كلارك سيقرأ رائعته الليلة"

- "وما هي؟"

- "لا أعلم، الشيء الوحيد الذي أعرفه أن أمسية الليلة تساوي كل الحكمة الموجودة في رؤوس أساتذتك الضلع التي سيعلمونك إياها بجرعات مركزة مقابل خمسة آلاف دولار سنويًا"

لم يستطع چاك كبح زمامه فقال: "بالله عليك، هل تتضاءل ذاكرتك؟ ألا تتذكر أيام الجامعة وخاصة امتحان الرياضيات؟ كانت درجاتك دائما ما تكون قُرب الرقم صفر"

صرخ فيه إرنست بسخط وقال: "ولكني لم أفشل في المرة الأخيرة"

- "بالطبع لا، لأن سيمفونيتك الرائعة في امتحان الهندسة الديكارتية قد أثارت

شفقة معلم المادة الشرير. هل تتذكر البروفيسور سكويلر، وقلبه الراقص بسعادة بداخل ضلوعه في المرة التي أخبرك فيها، أنه برغم كدحك المستمر في الفيزياء إلا أن أنك قد رسبت بدرجة تسع وخمسون ونصف في المائة؟"

- "فلم يرفع الدرجة لتصبح ستين! إن سامحه الرب، فأنا لن أفعل"

توقف تبادل الذكريات حين علت أصوات الضجيج، حينها سارع الصديقان الثرثاران إلى مقاعدهما قبلما يستحوذ عليهما أحدهم. جاء الملك ليجلس على عرشه! من المؤكد أن لريجنالد كلارك تأثير وحضور الملوك، أخذ مقعده ووضعه تحت المظلة، ثم صمت جميع المعجبين، وعيونهم تراقبه وهو يكشف ببطء عن مخطوطاته.

(11)

أسر ريجنالد كلارك آذان الجميع بموسيقى كلماته، ارتفع صعودا وهبوطا بصوتٍ قوي محسوب الإيقاع، صوته ممتلئ بالعنفوان كصوت الأرغن، ثم يتحول للنعومة فجأة كرنين الأجراس. تغذى صوته على شغفه الشديد بما يقوله، ثم ألقت يده القوية الورقة التي انتهى من قراءتها على السجادة الموضوعة على الأرض، قبل أن يدرك الصبي الجالس بين المشاهدين بعدما سحرته كلمات ريجنالد، أنه على دراية بكل كلمه سقطت من شفتي الأخير مع الورقة.

وعندما انزلقت الورقة الثانية بإهمال واضح من يد القارئ، ضربت رعشة مفاجئة في جسد الصبي، بدا الأمر كما لو أن يدا جليدية قد استحوذت على قلبه، لم يكن هناك شك فيما شعر به، لم تكن مصادفة، بل كانت سرقة أدبية واضحة، أراد أن يصرخ بأعلى صوت، ولكن المفاجأة قد جعلت الغرفة تسبح أمام عينيه، كما لو أنه كان يحلم.. بالتأكيد كان يحلم.

وجوه الحاضرين، الأضواء، ريجنالد وچاك، لابد وأنهم أوهام، ربما كان مريضًا لفترة طويلة، ربما كانت المسرحية تخص كلارك والأخير كان يقرأها له، لم يعد يتذكر ما كتبه، ولكنه بالتأكيد قد قام بكتابته ومرض بعدها. يا لها من خدع قذرة تمارسها علينا ذاكرتنا، لكن لا، لم يكن حلما، وهو لم يكن مريضا!

لم يعد بإمكانه تحمل حالة الإنكار الرهيبة التي ضربت رأسه، يجب أن تسترخي أعصابه المتوترة بطريقة أو بأخرى. التفت لصديقه المستمع لريجنالد باهتمام وهمس قائلا: "چاك، چاك!"

- "ما الأمر؟"

- "هذه مسرحيتي!"

- "تقصد أنك قد ألهمته بها؟"

- "لا، هي ملكي، انا من كتبها، أو بمعنى أدق، كنت أوشك على كتابتها"

- "أفق يا إرنست، أفق! أنت تهذي"

- "لا، أنا في كامل وعيي، إنها ملكي. أخبرتك من قبل، ألا تتذكر عند عودتنا من كوني أيلاند، أنني أكتب مسرحية؟"

- "أكيد ولكن ليس تلك المسرحية"

- "بل هى تلك المسرحية، لقد تصورتها بالكامل، شبه كتبتها"

- "ولكن من المؤسف أن كلارك قد سبقك بتقديمها"

- "لكنها ملكي!"

- "هل أخبرته بكلمة عنها؟"

- "لا، بالتأكيد لا"

- "هل تركت مخطوطتها في غرفتك؟"

- "في الوقع، أنا لم أكتب سطرًا منها، أنا لم أبدأ في طرح أفكاري على الورق"

- "لماذا رجل في سمعة كلارك سيسرق مسرحيتك ، سواء كانت مكتوبة أم مجرد أفكار في عقلك؟"

- "لا أعلم السبب، ولكن..."

- "صه، صه!"

أثارت الهمسات بينهما نظرة غيظ وُجهت لهما مثل الطعنة، من قبل سيدة كانت تجلس أمامهما. تشبث إرنست بحافة كرسيه، فلابد أن يمسك بأي شيئ واقعي، بدلا من الانجراف في بحر قاتم من المخاوف الغامضة...أم أن چاك على حق؟

هل عقله يتآكل؟ لا، لا لا! لابد أن هناك سرًا وحشيًا في الأمر، ولكن ما الفائدة، هل سيفيد كشف السر في شيء؟ لقد استغاث بصديقه كسفينة تاهت في الضباب، ولأول مرة، لم يلبي ندائه، أو أنه لم يفهم استغاثاته. انهمرت دموع مريرة من عيني الصبي،

بينما تنهمر الكلمات الغنية من فم ريجنالك كلارك بمنتهى القوة.

إستمع إرنست لكلمات مسرحيته أتية من فم الرجل العظيم، سحر المشهد وروعته جعله مفتونًا، فقد رأى إبداعات عقله تمر أمام عينيه، كرجل ينظر إليه بابتسامة خبيثة من خلف الباب في ساعات الليل الموحشة البشعة.

كانوا جميعهم هناك؛ الملك المجنون، حاشيته وخبثهم المندس في طاعتهم العمياء، الأمير حزين القلب، الملكة التي أحبت مهرجًا وفضلته عن سليل الأسرة الملكية وحصاد علاقتها المخزية؛ الأميرة (ماريجولد)، نسيج الشمس والخطيئة.

توالت المشاهد، وأظلم الموت القريب قصر الملك، واعترف المهرج العجوز تحت وطأة المخلعة – أداة تعذيب – بفعلته، جردوه من قبعته وأجراسه، وكللوه بإكليل الدم، بدا مضحكا بشكل مثيرا للشفقة، لدرجة أن ماريجولد لم تستطع كبح زمام ضحكاتها الممزوجة بدموعها. وقفت الملكة المرتجفة الشاحبة، دون أن تنطق بكلمة وهى تنظر لحبيبها وهو يموت.

ضرب الجلاد بسيفه على رأس المهرج العجوز، فسقطت وتدحرجت عند قدمي الملك، الذي ألقى بها لماريجولد، فقبلتها الأميرة الصغيرة، وغطت ابتسامة الفزع المقتولة بوشاحها الأصفر، وانتهت المسرحية.

لم يكن هناك تصفيق أو احتفاء، مجرد هدوء قاتل مصحوبا بالرهبة قد أصاب الجميع، كمثل الرهبة التي يشعر بها المصلين في بيت الرب، أو عند شعورهم بحضوره القوي. ولكن الصبي، استلقى على كرسيه، بينما تجمعت قطرات العرق الباردة على جبينه، ودقات قلبة تتعالى بداخل صدره.

سدت الطبيعة برحمتها مداخل عقله بالدماء، الذي أدى اندفاعه بقوة بداخل الشرايين لإغراق صوت بكاء الأعصاب، مما جعل موت الوعي يخف من حدة الألم لبعض الوقت.

(12)

مرت الليلة بطريقة ما، مضت بمرارتها وكربها، تاركة أثرها في شفاه إرنست الجافة، والحلقات السوداء أسفل عينيه. وفي اليوم التالي، واجه إرنست سيده ريجنالد كلارك في الأستوديو . ريجنالد كان جالسًا على منضدة الكتابة في وضعيته الأكثير تميزًا؛ داعمًا مؤخرة رأسه بيديه، ينظر بعينين ثاقبتين للصبي.

قال ريجنالد لإرنست: "بالتأكيد هى واحدة من أن أغرب الظواهر النفسية"

تحدث الصبي معه وهو يتألم، أصابه الذهول كمن أصيب بضربة على الرأس: "لا يمكنك أن تتخيل كم كان ما حدث حقيقيا، لازلت أشعر حتى الأن وكأن شيئا قد أنتزع مني، وبقيت فقط بعض الأفكار المتصارعة التي بالكاد أتذكرها".

اعتبره ريجنالد مريضا يصارع مرضا نفسيا محيرا، ووضع نفسه محل طبيب يحاول مساعدة الحالة، فقال: "لا تعتقد يا ولدي أنني أتحمل كل الضلالات النفسية التي تواجهك، قام چاك قبل أن يرحل بسرد كل ما حدث، وغاص بذكرياته في الماضي وعاد بعدة مواقف تخبرني بأنك كنت على مشارف انهيار عصبي"

انهيار عصبي، لا ينم هذا المصطلح إلا عن محاولة تلطيف لوصف الصبي بالجنون!

أكمل ريجنالد بلطف: "لا تيأس يا طفلي العزيز، فالاضطراب النفسي غير ميؤوسًا من علاجه، ولا يوجد داء غير قابل للشفاء. تأتي مثل تلك الأزمات لكل المؤلفين، هى الضريبة التي ندفعها لآلهة الإبداع. قديما، كتب الشاعر (منيسينجر) بدماء قلبه، بينما نحنُ الكُتاب المُعاصرين نغمسُ أقلامنا في عصارة أحبار أعصابنا. نحن نُحلل الحياة ونعشق الفن، ووارد جدًا أن السكين المُستخدم تشريح أرواح الرجال الأخرين، قد ينقلب علينا في بعض الأحيان".

- "ولكن ما الذي يجب على المرء أن يفعله في تلك الحالة، هل يضحي بالفن في سبيل الحفاظ على صحته ونفسيته، هل يجب عليه التخلي عن الشئ الوحيد الذي يجعله سيدًا لكل المخلوقات؟ بعضهم يسير على قدمين مثلنا، أنا أعلم ذلك، ولكن هل يجب أن نُسلم الوعي المبدع لذاتنا، الذي نستمده من تحليل مشاعرنا، من أجل

إرضاء ثور مريض يستظل بشجرة بداخلنا؟"

- "بالتأكيد لا".

- "وما الذي يجب علي فعله؟"

- "أوه، هذا أمر لا يمكنني قوله. يقدم علم الرياضيات مشاكل محددة بحلول محددة، وتبرز الحياة مشاكلها بقدر أقل من الدقة، وكذلك حلولها، واحد وواحد هما اثنان اليوم والغد. التحليلات النفسية في كل معالجة، ستؤدي لنتيجة مختلفة في كل مرة. ومع ذلك، فحالتك واضحة تماما؛ لقد أرهقت نفسك في الماضي عاطفيًا وعقليًا. لقد زرعت الاضطرابات في جسدك وعقلك، فيجب ألا تندهش إن كان حصادها هو الوهن العصبي".

سأله الصبي بتردد: "هل يجب أن أزور بعض المصحات النفسية؟"

- "لا سمح الله! اذهب للشاطئ حيث يمكنك النوم واللهو قليلًا. اصطحب جسدك معك، واترك عقلك خلفك، ولا تأخذ معك أكثر مما هو ضروري. لقد بدأ موسم الصيف في أتلانتيك سيتي، وكما هو حال المجتمعات الأمريكية، سيكون من الأفضل وأكثر ترحيبا إن ذهبت بدون عقلك".

خففت نبرة ريجنالد كلارك المازحة عن إرنست قليلًا، فتجرأ على استحياء بالتطرق للحديث في الموضوع الغريب مرة أخرى، ذلك الذي أحدث في توازنه العصبي فوضى عارمة.

- "بما تفسر هوسي الغريب هذا، إن كنت أستطيع تسميته هوسا"

إن إستطعت حسابه جيدا، فلن يصبح غريبا بالنسبة إليك"

- "هل يمكن قول أي تفسير محتمل؟"

- "ربما ورقة طائشة قد طارت من على مكتبي ووقعت في يديك لتعطيك خيوط لنفس الحبكة، أو ملاحظة صغيرة، من يدري؟ ربما طافت الأفكار في الهواء وتشاركناها سويًا. من الأفضل ألا نتحدث عما حدث، سيثير الأمر حنقك بلا داعٍ"

أجابه إرنست بحزن: "معك حق، دعنا لا نتحدث عن الأمر مرة أخرى. على العموم، المسرحية رائعة!"

- "أنت تبالغ في مديحك، فلا شيء فيها أنت غير قادر على فعله، وبنفس الجودة، ولكن يومًا ما"

تطلع الصبي لكلارك بإعجاب شديد وقال: "أوه، بالطبع لا...فأنت هو السيد!"

(13)

مطط إرنست أطرافه بكسل على شاطئ أتلانتيك سيتي، جرفت موجات البحر الساحر – المُطهرة للنفوس المريضة- من عقله قلق الأيام الماضية، اختلطت الرياح بشعره، والتحم الرذاذ بأنفاسه، بينما أشعة الشمس تُقبل ذراعيه وساقيه العاريتين.

تدحرج على الرمال بسعادة الأحياء، ركض بين الحين والآخر نحو المويجات القادمة من حضن أبيها، وابتعد فور اقترابها منه وكأنه يداعبها، بدا الأمر وكأن البحر الملتهب كان يمد ذراعيه له. ومن يدري، لربما هناك عيون خضراء لحورية تنظر له من خلال المياه الصافية، أو إله البحر الشاب ذو الشعر اللامع بداخل المياه، يحملق بداخل فم الصبي الأحمر، فكائنات أعماق البحار يحبون الدم البشري الأحمر الدافئ، ودائما ما يستدرجون الصغار لفخاخهم المائية، فترتجف أعضائهم، وصولًا للقبر.

زارت إرنست تخيلات وهو مستلقيا على رمال الشاطئ، سعيدًا، كحيوان غير ناطق، بلا تفكير. تخيل أن الشمس والبحر يحضنان بعضهما البعض من أجله، وبعثت التغييرات الجوية المفاجئة فيه الاسترخاء التام، والهدوء الذي افتقدته روحه المتمردة الحازمة.

لم يعانِ من العزلة، بل آنسته الرياح والمياه والأعشاب والشاطئ والأصداف، كانت يده تلهو بالرمل الساخن المنساب بين أصابعه، ويدفن صدره وكتفه تحت حِمله المتلألئ. فتاة صيفية مرت بجانبه ورمقته بنظرة غنج، فراقبها دون أن تستثير فيه شيئًا، حتى مجهود فتح فمه للابتسام صعُب القيام به.

وهكذا رقد لساعات، وعندما اقترب وقت الظهيرة، كلفه الأمر جهدا كبيرا وإرادة قوية للتخلص من مزاجه الناعس واستبدال زيه المتجدد بهواء البحر، بأخر أكثر رسمية يليق بملابس المطاعم التقليدية. إقامته كانت في فندقًا أنيقًا، ضربة حظ غير عادية يتمناها الجميع، فعمله الذي قد حقق أرباحًا جيدة قد أتاح له الوقت للتوقف عن العمل، دون التفكير في الضرورة المضنية لكسب المال.

كان وضع اسمه على مقال واحدًا أكثر من كافي للتربح على عكس كتابة مئات

الأغنيات الذهبية. كان يعتقد، أن بالتأكيد يجب أن تبدأ الثورة الاجتماعية من قمة الهرم.

- "ما وجه الحق في أن يتذمر بنّاء قد جمع في عمل أسبوع كامل، أكثر مما أحصل أنا عليه في أغنية".

أكمل ثرثرته مع النفس، حتى وصل لمطعم الفندق. رأى مشهدًا نموذجيًا، طاولات الطعام محملة بكل ما لذ وطاب، النساء يرتدين ملابس فخمة أكثر من اللازم، صالة المطعم كانت قد اكتملت بالفعل عندما وصل، تمتم باعتذارات هامسة وهو يمر بين الجالسين قبل أن يستقر على كرسي وحيد بجوار شاب حسن الملبس كالمانيكان. وبعينين منهكتان، تجول بحثًا عن وجوه أكثر لطفا وانسجامًا، حتى أسرت عينيه سيدة في الطاولة المجاورة له؛ ترتدي رداءً حريريًا مزينًا بشبكة مطرزة بشكل مثير للفضول، بينت من خلالها رقبة نحيفة رقيقة للغاية. التأثير الغني للشبكة قد بين أناقة مدروسة من قبل الفتاة، مصحوبة ببساطة جميلة قد ازدادت بلون شعرها الكستنائي المربوط بأكمله في عقدة واحدة.

أشاحت بوجهها بعيدًا عنه، ولكن هناك شيئا مألوفا في ملامحها، وعندما أعادت النظر إليه مرة أخرى، كاد الكأس الزجاجي يسقط من يده؛ كانت هى بنفسها؛ إثيل براندبورج. بدت أنها قد لاحظت إحراجه، فتبسمت له. وعندما فتحت فمها للحديث، أكدت له حلاوة صوتها وعذوبته أنه لم يكن مخطئًا.

قالت له بحزن: "قُل لي، هل نسيتني؟ فجميعهم قد فعلوا"

سارع لتأكيد أنه –بالطبع- لم ينساها، واستجمع ذكريات أول لقاء له معها في منزل ووكهام قبل بضع سنوات، عندما كان طالبا جامعيا محظوظا بحضور إحدى حفلات الاستقبال الشهيرة لأستاذه، وقتها كانت سعيدة وحازمة للغاية، ولمن تكن أبدًا في مثل غرابة المرأة التي تحدق بغيظ في ريجنالد، بمطعم برودواي.

اعتبر إرنست أن لقائمها واحدا من ألاعيب القدر، كان يعرف الكثير عن شخصيتها وتاريخها الذي بدا بحكم المعرفة الجيدة بينهما حميميا بشكل كبير لسنوات، هى

أيضًا شعرت معه بالألفة والراحة، لم يذكرا اسم ريجنالد قط. ومع ذلك، كانَ على دراية أنه الرابط المشترك بين أرواحهما.

(14)

لقائهما كان هو الثالث بعد أول مرة، وساعة تلو الأخرى، ازدادت علاقتهما حميمية، إثيل كانت تجلس على كرسي من الخيزران، ممسكة بشمسيتها بلا كلل بيدها اليمنى، وتصنع باليد اليسرى دوائر جميلة سحرية الشكل على الرمال، بينما إرنست يجلس عند قدميها، ضامًا ركبتيه بين ذراعيه، ينظر إليها بسعادة كادت أن تقفز من عينيه.

سألته المرأة الجميلة وهى تبتسم نصف ابتسامة، تشبه هدية عشية عيد الميلاد الصبي: "لماذا تحاول جاهدًا أن تقع في حبي؟". اختلطت لمحات من بعض النفاق بابتسامتها، ولكنها كانت سلاحًا فعالا ضد مدفعية الحب. تفجرت الدماء بداخل شفتيها، فجعلتها الأعظم بين ابتسامات جميع السيدات. استمعت تستمع إيثيل له، ولكن لم تخطر فكرة الحب ببالها بعد. أما عن اهتمامها بإرنست فيرجع نوعًا ما لشبابه، وارتعاش صوته عندما تحدث عن الحُب، ولكن أكثر ما جذبها فيه هو علاقته الوطيدة بالرجل الذي لازال يمسك بقلبها في جوف يده. سألته سؤالا مباشرًا:

- "لماذا مارس الحب معي؟"

لم يكن يعلم، لربما هى الرغبة التي لا تقاوم في المداعبة، التي يتشاركها الشعراء الصغار مع القطط الأليفة. ولكن ما الذي يجب عليه قوله؟ فالتفاهات المهذبة ليس لها مكان بينهما.

بجانب معرفته لجزاء العلاقات الرقيقة، فالنساء تتعامل مع الحُب كالسلك الضعيف، معتقدين أنهن بإمكانهن إستخراجه من منبعه إلى أجل غير مسمى. الحب عملية مكلفة للغاية، فهى ستكلفه أغلى شئ بالنسبة له، الشئ الوحيد الغير قادر على إسترجاعه؛ الوقت.

الوقت بالنسبة لإرنست يساوي قصيدة ستجلب له مال لا يهتم بالحصول عليه، قدس الرب شفتيه بأسلوب إيقاعي يُمّكنه من الإستماع لصوت قلبه، ويخبره بالوقت الصحيح، ليس بالساعات والدقائق، بس بمواعيد ذهاب الحب وإيابه. بدت المرأة وكأنها تقرأ أفكاره وهى تجلس بجانبه.

"مهلا يا ولد، مهلا، لماذا تمارس الألاعيب على الحُب؟ أنت مثل يَهوه، إله غيور، ولا شئ كقلب كامل يمكن أن يرضيك. ويل لإمرأة تتخذ شاعرا كعشيق، أعترف بأنه أمرا مثيرا، ولكنه كلُعبة قمار في دائرة الحياة، لا يمكن لشاعر أن يخدم عمله وقلبه على حد سواء، الشاعر الحقيقي غير قادر على حب إمرأة".

"يا إلهي! أنتي تبالغين. بالطبع هناك قدر من الحقيقة فيما تدعين، لكنه ليس إلا جانب واحد من الحقيقة. والحقيقةكما تعلمين، أن لها وجهان، وأحيانا تمتلك أكثر من وجه. أضمن لكِ أنني قد إهتميت بصدق بالنساء اللاتي كتبت لهن أشعار الحب. ولا تستطيعي إنكار أنني كنت صادقا وأصيل".

"حاشى لله! أنت فقط كنت تستخدم حروف الجر الخطأ، كان لابد أن تقول أنك كتبت عنهم"

صاح متعجبا بطفولية: "يا الله! أنتِ لماحة للغاية"، وبعد أن ساد الصمت قليلا، أكمل بلا تردد: "وهل تطبقين نظرياتك على كل الشعراء، أم نحنُ فقط؛ صُناع القافية؟"

أجابت: "على الجميع"

نظر إليها في حيرة، فقالت بحزن جديد الملامح: "أنا أيضًا قد دفعت الثمن"

- "ماذا تقصدين؟"

- "وقعت في الحب"

- "والفن؟"

- "كان هو التضحية"

قال لها بدون اقتناع: "لا بد وأنك قد اخترت الكفة الرابحة"

أجابت: "لا، لقد دفعت الثمن سدى"

رغم هدوء كلماتها، إلا أن إرنست فهم أنها تحمل حزنا مأساويًا. علق ببساطة: "هل

لا زلتِ تحبينه؟"

لم تجب بكلمة، خيم الحزن على وجهها كحجاب من الضباب الرمادي يسبح على وجه المياه، ذهبت عيناها للبحر في رحلة كأحد طيور النورس. كان بإمكان إرنست في تلك اللحظة أن يضمها بين ذراعيه، ويقبلها بحنان لا نهائي، ولكن الحنان بين الرجل والمرأة في تلك اللحظات كإلقاء عود ثقاب مشتعل في عبوة من البارود.

أقل استفزاز سيحدث انفجار عاطفي قد يهدم بيت الورق الضعيف الأفلاطوني لما بينهما. إن استسلم لدوافع اللحظة، ستتفجر الدماء بداخل عروقه كأنهار من النبيذ الأحمر، ولا مفر من اللهب بداخله، سوى الاندلاع.

قالت إثيل: "مهلا مهلا، أنت لا تحبني"

احتج على كلماتها، فصاحت بلهجة النصر قائلة: "كم أغنية ستهبني مقابل حبي؟ إن كنت مرابيًا للذهب بدل القافية، سأطلب مبلغا من الدولارات. ولكنه من الظلم أن ندفع بعملة لا نقدرها لرجل يتضور جوعا في مناجم الذهب، فقطعة الخبز بالنسبة له تزن أكثر من كل كنوز الأرض. بالنسبة لك، أنا متأكدة أن مقياس نجاح قصائدك هو معيار التقدير...كم ستعطيني؟ واحد، اثنين، ثلاثة؟"

- "أكثر"

أجابت بمرح: "ذلك لاعتقادك أن الحُب سيمنحك فائدة مركبة"

ضحك من قلبه، وعندما تحولت لحظات الحب لضحكات، تلاشى الخطر مؤقتًا.. أو على الأقل، في الوقت الحالي.

(15)

وهكذا، مرت ثلاثة أسابيع دون تغيير واضح في علاقتهما. امتلك إرنست جاذبية شخصية كانت تنبثق منه دائمًا، تاركةً عمقا أكبر عند انسحابها. مارس سلطته بشكل لاإرادي في جميع الأوقات، والتي دائمًا قاومتها – هي- ، كانت في حالة تأهب دائم، تتجنب الحُب قدر المستطاع.

وعندما أدى ضغط العمل لرحيله الفوري إلى نيويورك، لم يكتسب أدنى مستوى من الاهتمام. ولكن إثيل عرفت من صميم قلبها أنها مفتونة به، رغم أنها كانت تتجنب الحُب. استكملت انبهارها به بشعور أمومي، وفي جوهره، لم يكن بعيدا عن شهور الحب المطلق.

كافحت قدر استطاعتها أن تكبح زمام مشاعرها، ولم تغفل قط عن حقيقة كون إرنست في العشرين، وأنها في الثلاثين من عمرها. وبوعي كامل يشوبه الوهن، حاولت أن تحيد الحديث بينهما بعيدا عن الأمور الشخصية، وفضلت الحديث عن عمله.

قالت له بلامبالاة: "قُل لي، ما هو إلهامك الجديد المستمد من إقامتك على شاطئ البحر؟"

صاح بحماس: "واحدا فقط؟ بل الكثير والكثير ، سأبدأ في كتابة رواية عظيمة عن حياتي، منذ بداية فترة إقامتي في ريفرسايد درايف.

سألته: "رواية أمريكية عظيمة؟"

- "ربما"

- "ومن سيكون بطلها... كلارك؟"

شاب الحقد كلماتها، أو بمعنى أدق، في الصمت بين الكلمتان الأخيرة وقبل الأخيرة. استشعر إرنست وجودها، وعرف أن حبها لريجنالد قد مات، كان قلبها قاسيا، وحجرته باردة بين الضلوع، وبجانب أشخاص أخرين، استلقى ريجنالد في

نعش ذاكرتها هو الآخر.

أجابها بعد لحظات مبديا مدى انزعاجه مما قالته: "لا، كلارك ليس البطل. ما الذي يجعلك تظنين أنه يلقي تعاويذه على كل ما أفعله؟"

أجابته: "صغيري العزيز، أنا أعرفه جيدًا، شخص لا يتوانى عن إبهار من يتواصل معهم بشخصيته القوية، مما يضر باستقلالهم فكريًا. فضلًا عن كونه بارع للغاية في التحدث في كل شيء أفضل بكثير من أي شخص، لدرجة أنه يحبط من جهود الأخرين من خلال مدى روعته الشديدة. وفي أفضل الأحوال، سيسهم تأثيره عليك في تطورك، ولكن وفقًا لمبادئ عقله الفاسدة والفضولية. ستصبح مشوه فكريًا، مثل إحدى الأشجار اليابانية المحدبة؛ مجعدة بلا حدود، ومشوهة بشكل غير طبيعي، لأنها لم تنمو وفقا لقوانين الطبيعة، بل لانتقال عدوى الخيالات الشرقية المريضة إليها".

أكد لها إرنست بعصبية: "أنا لست ضعيفًا، وتصورك الخاص عن كلارك هو خارج المنظور الطبيعي للأمور. نجاحاته الرائعة هى مصدر إلهام دائم لي، لدينا بعض الصفات المشتركة، ولكني أدرك أن النجاح سيأتي إلي وفقا لأسس مختلفة تماما. كلارك لم يحاول التأثير علي بأي شكل، وفي الواقع، لم أتلق منه أصغر اقتراح لأعمالي".

وفي تلك اللحظة، لوحت له الأميرة ماريجولد من مركب ذكرياته، مرتدية وشاحها الأصفر، ولكنه مد يده وأبعدها عن ناظريه، وأكمل قائلا: "وبالنسبة لقصتي، ألا تحتاج للسفر بعيدًا لأجد شخصيتها الأساسية العظيمة؟"

علقت إثيل وهى تغمز بعينها فقالت: "من يفترض بها أن تكون، أنت؟"

أجاب بوجهٍ عابس: "إثيل، كفاكِ إستهزاءا، أنا أقصدك أنتِ"

- "أشعر حقا بإطراء شديد، ، لا شيء يسعدني أكثر من أن يُخلد إسمي في عمل مطبوع، لأن أملي الحالي في توقيع إسمي على لوحة -بفرشاة أو بقلم رصاص- شبه مستحيل. لقد وضع إسمي في رواياتٍ من قبل، ويهلكني الشغف لمعرفة ماهية

حبكتك".

قال إرنست: "إن كان لن يزعجك ما سأقوله، فأنا أفضل لا أخبرك بعد. ستسمى الرواية (ليونتينا) – هذه أنتِ – ولكن الباقي يتوقف على المعالجة، لا يهم حجم ما تكتب، طالما ستكتبه بشكل سليم، هذا هو اساس العمل الجيد. على العموم، أي إشارة لمحتوى الحبكة سيكون غير مناسب في هذه المرحلة".

- "أعتقد أنك على حق، على العموم، اختر وقتك الخاص لتخبرني عن العمل. دعنا نتحدث عن شيئا آخر؛ هل كتبت أي شيء منذ كتاباتك الشعرية الرائعة في الربيع الماضي؟ أعتقد أن تلك هى الأوقات الملائمة لتجديد شغف الأشعار التي أحيانا ما تكون قد أنهكتها باقي الفصول"

أثار استفسار إثيل ذهوله بشكل ما، وفي الحقيقة لم يجد إجابة مرضية. صعدت بعض الملاحظات المتعلقة بمسرحية كلارك إلى شفتيه، ولكنه أوشك على عض لسانه بمجرد أن تذكر الضلالات التي سيطرت عليه في تلك الليلة، وشعر بأنها لا زالت موجودة، تسبح خلسة في تيارات دماغه الخفية. لا، لقد أنجز القليل خلال الأشهرُ القليلة الماضية، على الأقل في مجال الأدب الإبداعي. أخبرها إرنست أنه قد جمع بعض المال، ثم أضاف:

- "علاوة على ذلك، من يمكنه أن ينتج عمل فنيا كل أسبوع؟ عقل الفنان ليس بالآلة، أنا قمت باستجماع قوتي في فترة راحتي من أجل أعمال المستقبل، ولكن..."

قطع كلماته فجأة، ثم أضاف بلهجة منزعجة

- "أنت لا تستمعين لي"

أعادتها كلماته إلى سلسلة من الأفكار النابعة من ذكرياتها القديمة، لأنها قد اعتادت على قول نفس الشيء. المبررات التي كانت تكررها دفاعا عن حالة الخمول التي عاشتها من قبل وهى تحت تأثير كلارك – الحقير – ريجنالد. نعم، حقير، لقد تجرأت على الاعتراف بذلك لنفسها. في لحظة، تجلى كل شيء، اتضح لها أن حبه لم يضف لها تلك القوة وقتها، بل شيئا آخر قد فتح آبار الإبداع عندها، وجففها تماما وقتما

انتهى منها، هل هذا بالضبط ما يحدث مع الصبي المعذبة روحه، هل هناك قوة شريرة قد استحوذت عليه؟ ارتفع سقف تفكيرها محاولةً صياغة مخاوفها، ونظرت للصبي بعيون مرتابة.

كرر إرنست قائلا: "إثيل، لماذا لا تستمعين لي، هل تدركين أنني سأغادر خلال نصف ساعة؟"

نظرت إليه بحنان، ولمعت دموعها مضيفةً إشراقًا لعينيها الواسعتين، الشبيهة بأعين طفلة صغيرة. تأثر إرنست بشدة، وشعر أنه – في تلك اللحظة – يحبها أكثر من العالم كله.

قالت إثيل: "فتى أحمق، هل سترحل دون أن تُقبّلني؟"

احتضنت شفتيه بشفتيها بمنتهى اللُطف، وأمسكت برأسه وضغطت بفمها بكل قوة، لتطبع قبلة طويلة. تراجع ارنست بعدما شعر بالإحراج، فلم تقبله إحداهن بهذا الشكل، ثم همست إثيل: "رغم أنك شاعر، إلا أنك لم تتعلم التقبيل بعد".

شعرت بالقليل من التوتر حينما كان يتفحص ساعته على عجل، فقالت بصوت متألم: "لا يجب أن يفوتك القطار، اذهب بأي بأقصى سرعة"، حاول إرنست أن يبقى بأي وسيلة، لكنها أصرت على رحيله وقالت : "اذهب إليه، أرجوك اذهب إليه". قام الصبي بقلب مثقل، ولوح لها بقبعته، وسرعان ما اختفى وسط الحشود في لحظة واحدة.

غمرت الشكوك والوساوس جسدها من الداخل فخنقت قلبها، ونادى صوت داخلي منها: "لا تذهب! لا تعود لهذا البيت"، ولكن الحكمة الدنيوية قد أغلقت شفتيها، وقتلت صوتها الداخلي، وسرعان ما اختفى الصبي ذو الشعر الذهبي .

(16)

أسرع القطار السريع إلى نيويورك، بينما إثيل براندبورج لا زالت هى الشيء الوحيد العالق بعقل إرنست، لازال يشعر بضغط شفتيها على شفتيه، واتسعت فتحتي أنفه عندما تذكر رائحة شعرها حين لمس جبهته. ولكن حين لمست قدمه العبارة التي ستقله إلى مانهاتن، نسي تماما الثلاثة أسابيع التي قضاها معها، ولأنه قد وصل لأرضٍ لا وجود لملامح محبوبته فيها، قمع عقله ذكرياته الماضية، واستبدلها سريعًا بشعور أخر؛ سعادة لقاءه بريجنالد كلارك.

لم تكن جاذبية الرجل القوية بالنسبة لإرنست بنفس قوتها، نظرًا لأنه قد ابتعد عنه لبعض الوقت ولم يسمع أخباره بكثرة طوال فترة أجازته. رسائل ريجنالد كانت موجزة دائما، وكان يبرر قائلا "الكُتاب المحترفون لا يمكنهم وصف مشاعرهم جيدًا في رسائلهم الخاصة الموجزة، بل عند تحويلها لنسخ من أعمال كبيرة". كان يتوق للجلوس مع الأستاذ في الأستوديو بينما أشعة الشمس تحاول بقوة اختراق زجاج النافذة الملطخ، تعطش لمناقشة فلسفات الليل السوداوية الصغيرة والكبيرة، كان يتوق لرؤية ريجنالد، وسماع صوته، وشم عطر غرفته بعبقها الخاص.

توقع وجود الكثير من الرسائل تنتظره في الشقة، لأنه قد تعجل المغادرة دون أن يخبر أحدا من أصدقائه عن مكان وجوده تاركا اياهم في ظلام الحيرة، فقط چاك هو من أعطاه ملحوظة صغيرة في اليوم التالي من مقابلته إثيل. تمنى بشدة أن يجد ريجنالد في الشقة، على الرغم من أن الوقت قد قارب على العاشرة مساءا. لعن إرنست المواصلات الفرعية لعدم قدرتها على طي أبعاد الزمان والمكان، فمن غير العادل أن تتآكل حياة سكان المدن شهورا وسنوات وهم تحت رحمة وسائل المواصلات التي يجب تدوينها كفشل ذريع في دفتر الحياة.

نفد صبر إرنست تجاه الأشياء الملموسة بينما ينتظر وصول القطار النفقي، شعر بأنها عقبة مادية غبية، تثقل من جناحيه وتمنع روحه من الارتفاع وصولا للشمس. وعندما وصل أخيرًا للمنزل ، علم من الفتى موظف الاستقبال أن كلارك قد غادر. دخل إرنست غرفته بمزاج متقلب وتصفح البريد؛ رسائل من المحررين ولجان

القراءة في كل مكان، بعروض لا يستطيع رفضها. فتحت الصحف والمجلات أفواههم المتثائبة لابتلاع الوقت الذي تمناه لنفسه، فأدرك أنه سيضطر لتأجيل كتابة روايته لعدة أسابيع، إن لم يكن أكثر.

ومن بين الرسائل، كان هناك رسالة من چاك، تحمل ختمًا بريديًا لبلدة قرب سلسلة جبال "أديرونداكس" حيث عاش الأخير مع والديه. فتح إرنست الرسالة بدون تردد، وقرأها، ثم أعاد قراءتها مرة أخرى فتعمقت الخطوط العريضة على جبهته – والتي من شأنها أن تتحول لتجاعيد في يوما ما – وأصبحت واضحة تماما، فوق نظرة الاستياء التي جعلت وجهه مظلمًا.

شعر بوجود خطبًا ما بچاك، مع تغيير طفيف في قدرته على تحليل ما يحدث، فقد كانت أرواحهم غير متناغمة كما اعتادت أن تكون، قد يكون مجرد إضطرابا عابرًا؛ وربما كان خطأه هو، ومع ذلك كان يؤلمه ما يحدث. بدا مؤخرًا وبطريقة ما أن چاك لم يعد قادرًا على تحمل تقلبات عقله. شخصا واحدا فقط من امتلك قدرة ذهنية مماثلة، وهو القادر على فهم ما قيل وما سيُقال؛ ريجنالد كلارك، رجل وشاعر، قرأ ما يجول في روحه كالكتاب المفتوح. ربما إثيل قد فهمته، ولكنها لم تحبه ، بل كانت كالسحابة العابرة التي وضعت نفسها حائلًا، بين عينيه وبين كتاباته.

سمع إرنست صوت مفتاح باب الشقة قبيل منتصف الليل ففرح بشدة؛ لقد عاد أستاذه ريجنالد كلارك، ودون أدنى تغيير به، كاملًا، متأنقًا. امتلك ريجنالد القدرة الروحية على تعرية الجسد من الروح، لتصبح أمام ناظريه في عريها البدائي. وعلى الرغم من عدم ذكر كلمة عن إثيل براندنبورج بإستثناء ذكر وجودها في أتلانتيك سيتي، إلا أن إرنست قد أنبأه حدثه بأن ريجنالد يعلم كل شيء.

(17)

كتب إرنست في اليوم التالي خطابًا لإثيل يحمل القليل من الحنان، والكثير من السطحية. لقد جرحت كبريائه بإثبات انتصارها على شغفه وشغفها؛ بجانب أنه كان مخاض العمل المضني. وعندما لم تأتي منها إجابة حتى اليوم الثالث، تحولت مشاعره لحزن عميق. تأكد أنها لم تهتم لمشاعره، ولكنها كانت تلعب به لعدم وجود دُمية أخرى مكانه.

احمرت وجنتيه خجلً من الفكرة، وبدأ في تحليل مشاعره، فشعر بصدمة، وإن لم تكن - بالأحرى - طعنة تتعمق في شغفه أكثر فأكثر. كان العمل يناديه ليضيف معنى لحياته، وليس ذلك الحب الموسمي. بدت له إثيل بعيدة، غير واقعية، كانت محققة لحد كبير، فهو لم يهتم بها لهذا الحد، بل للشخصية التي سيكتب عنها في روايته؛ هى فقط بطلة قصته التي استحوذت على اهتمامه، وليس النموذج الحي الأصلي.

تطرق في حديثه مع ريجنالد في أحد المرات حول هذا الموضوع، الذي أكد أن الذوق المُعاصر قد حرّم -حتى- على المصور الفوتوغرافي أن يصور الحياة كما هى، ولكنه أصر على وضع عناصر تخليلية. علق ريجنالد فقال: "لا يوجد بشري قد تمت ترجمته لخيالٍ من قبل، فالفن على النقيض من الحياة، هو عملية صناعية بحتة".

ومع أخذ هذا في الاعتبار كدافعٍ قوي، قرر إرنست العمل على تشكيل إثيل جديدة، أكثر واقعية من الحياة نفسها. للأسف لم يجد الوقت الكافي لكتابة روايته. فقط استطاع - بعد يوم شاق في العمل، وبعد الانتهاء من كومة النسخ الموجود على مكتبه والتي سيرسلها للمجلة- أن يركز تفكيره على شخصية "ليونتينا"، وكانت النتيجة أنه استعوض ساعات النوم بالاستلقاء على سريره وهو ويفكر في خطة الكتابة، بينما المخلوقات الخيالية التي ترعى في عقله، تضع أصابعها على جفونه كيلا ينام.

حتى وعندما تغلب عليه أخيرًا الإرهاق المُطلق، كان لازال عقله يعمل، بالتأكيد

ليس في تسلسل منتظم ولكن عن طريق اتخاذ مسارات غريبة ووحشية. وكأن غيلان الهوبو الأسطورية تسرق الراحة من أعماق روحه وتبدلها بأعباء واضطهادات رهيبة. عندما استيقظ صباحًا، اختفت الشمرة من وجهه، وظهرت خطوط صغيرة عند زوايا فمه، وبدا الأمر كما لو أن حيويته قد استنزفت منه، وبطريقة قاسية غير قابلة للمساءلة.

أصبح عصبيا بشكل هستيري، وفي كثير من الأحيان عندما تطرق لكتابة عمل إبداعي لإحدى المجلات، كان الخوف يقف خلف مقعده مستحوذا على المكان، ووحده طنين صوت المصعد هو ما كان يعيده لصوابه. كتب في إحدى حالاته المزاجية السيئة قصيدة، وعرضها على ريجنالد بعد عودة الأخير من رحلته القصيرة للبلدة.

قرأها ريجنالد، ثم نظر لإرنست بنظرات غريبة تحمل تعبير غير مفهوم.

"أيها النوم اللطيف، لا تشح بوجهك عني، بل ضع إصبعك على جبهتي وخذ كل الأحلام مني، والمؤلمة أيضا.

على عيني بلسمًا باردًا، يريني رؤية عن قلق اليوم، ولكن لو شفتيك رماديتان ترتعدان، فما هي الرؤية الشبحية، التي أفزعت قلبك وهزت رباطة جأشك؟".

ربما هي عينٌ قاتلة وقاسية مثبتة نظراتها عليّ، أو هو حلم وحشي يجلب ذنبا مخيفا بداخل رأسي، يتسلل بداخل روحي الغير يقظة ليستفزها كأفعى بورجية تنهض من على سريرها المفعم بالسموم، لتقلق نيرون في قصره الذهبي.

قال ريجنالد وهو يضع المخطوطة جانبًا: "قصيدة جيدة، متى كتبتها؟"

أجابه إرنست: "في الليلة التي كنت بها خارج المدينة".

كان هناك شيئا في نبرة صوت ريجنالد أثارت انتباه إرنست، فسأله الأخير: "ماذا ترى؟"

أجاب ريجنالد بهدوء من الصعب زعزعته: "لا شيء، كل ما في الأمر أن حالتك

العصبية لازلت بعيدة كل البُعد عن الإرضاء".

(18)

تأرجح قلب إثيل هنا وهناك بعد رحيل إرنست في إعصار من المشاعر المتضاربة، وقبل أن يتاح لها الوقت لاكتساب توازنًا عاطفيًا، أحدثت رسالته فوضى عارمة فيها. خنق كلمات إرنست رنين كاذب - يتردد صدى صوته بشكل متزايد ومستمر -، وجثم فوق صوت الحب بداخله ليخفيه، وتألقت جمله المرصعة بالمجوهرات، ولكنها تركت إثيل ترتعش من البرد.

افتقرت جُمل إرنست للعفوية البريئة، التي تجعل العبارات بسيطة ومبتكرة بشكل رائع وفريد من نوعه، فأدركت إثيل أن قبضتها على مخيلة إرنست قد ارتخت، وعلاقتهما النصف صيفية قد اختفى سحرها الليلي، وأن كلمة واحدة من شفتي ريجنالد كانت كافية لكسر تعويذتها. كادت أن ترى ظلال ريجنالد تحوم فوق خطاب إرنست، وهو يحدق بها بين السطور، معلنا انتصاره الشرير.

ثم همس صوت العقل أخيرًا في أذنيها ألا تعطي قلبها فرصة ليصبح في حيازة الصبي. فقد عرفت أن حبه سيصبح قاسيا ومزعجًا في بعض الأوقات، وأنه سيطلب منها اهتماما كبيرا قد يتخطى ما استطاعت وما ستستطيع أنه تعطيه في حياتها. وهكذا، كان من شأن الكذب أن يدمر حياتها ويمررها.

فعندما يكون الوليفين غير متكافئان، يجب على الحب وقتها أن يلون خديه، وفي بعض الحالات المزاجية سيخفي وجهه تحت قناع. قد تكون شفتي إثيل معسولتين، ولكنها تخفي الكثير من القلق والحزن بدخل قطار عمرها.

أخبرت نفسها بتلك الأشياء مرارا وتكرارا وهى تكتب رسالة، ردًا على رسالة إرنست. أعادت كتابتها عدة مرات، وفي كل مرة كان يصبح الرد أكثر صعوبة. تركت الرسالة جانبًا -أخيرًا - لبضعة أيام، وعندما سقطت في يدها مرة أخرى بدا الأمر موترًا بشكل يفوق طاقة تحملها، لدرجة جعلتها تمزقها بغيظ.

وهكذا مرت أسابيع، ولم يعد إرنست يشغل حيزا من نطاق عقلها، إلى أن ألقت نظرة على إحدى المجلات الصادرة في أول شهر سبتمبر، ورأت اسمه في جدول

المحتوي، ورأت وجهه مرة أخرى، وعلامات الحزن بادية عليه، فارتجف قلبها خشية من شيء ما.

ارتجفت يديها وهي تقطع الصفحات، وخيم ضباب من الدموع على رؤيتها وهي تقرأ القصيدة، كانت قطعة شعرية كئيبة بشكل متألق. وكمثل رهبان ذوي ثياب سوداء، أنصاف مجانين بالزهد الصوفي، تطايرت أفكار الشاعر عبر الصفحة. عبرت كلماته عن عويل روح تشعر بقلق، بينما ينزلق منها العقل ليتصاعد الجنون ويتخذ موضعه في حياته، كقمر شاحب عظيم.. انبثقت من القصيدة اضطرابات غريبة، واستحوذت سريعًا على إثريل.

واستطاعت مرة أخرى ببصيرة نبي، أن تدرك بوضوح أن الخوف الغامض المحيط بالشاعر ويطارده ما هو إلا شخصية ريجنالد كلارك، رأت الحلم الشبه منسي في كلماته، ومكافاحته من أجل الوعي، وأذهلها حيويته. شاهدت كلارك في تخيلاتها كما اعتادت أن تراه قديمًا؛ كائنًا بحريًا مرعبًا ولزجًا، تتقاتل أفواهه الجائعة على ابتلاعها، ومجساته العملاقة ذات المخالب على الإمساك بها.

أغمضت عينيها من هول رعب الذكريات. وتجلى لها بشكل واضح أنه يجب عليها إنقاذ إرنست فيلدينج من براثن سيده الخبيثة، التي غلفت حياته في ظروف غامضة.

(19)

انتهى الصيف سريعًا، وعاد الكثيرين لملذات حياتهم الحضرية بحلول منتصف شهر سبتمبر. إثيل كانت من أول العائدين، خاصة بعدما قررت دخول حياة الشاعر الشاب مرة أخرى، فكان من المستحيل أن تبقى بعيدًا عن المدينة لفترة أطول. أحكمت خطتها بداخل عقلها، وقبلما تقرر زيارة إرنست، أرادت الذهاب لمقابلة ريجنالد لتتطلب منه أن يحرر الصبي من تعويذته البشعة، جالبة معها عنصر الفضول اللاوعي، الذي قد اقتحم قرارها اللا رجوع عنه.

كلارك قد انزعج ولأول مرة حين قررت الانفصال عنه منذ سنوات، ووعدها في ذروة غضبه أن يومًا سيحضر ما يبرئه في عينيها، وقتها أجابت أن كل الحديث ما بينهما لا معنى له، وأنها تأمل ألا ترى وجهه مرة أخرى، وإذ بالتجربة التي أهدتها بها السنوات تجعل شخصية ريجنالد كلارك غير قابلة للمساءلة، عوضًا عن حل لغز شخصيته. وجدت نفسها في أكثر من مرة تفكر في وسيلة لمقابلته، وتحليل التأثيرات الغريبة التي تركتها علاقتهما عليها، حتى تتمكن من محو مشاعر العاطفة تجاهه. إثيل كانت تدرك أن هناك شيئا ما قد سلبه منها، وهو الشيء الذى استحوذ على عقلها به رغم البُعد، وبدونه لن يستطع بجاذبيته أن يمارس ألاعيبه عليها.

لذلك قبلت الدعوة التي أرسلها لها ووكهام لزيارة إحدى معارضه الفنية في منزله، على أمل لقاء ريجناللد. كانت زيارات ريجنالد المتكررة على منزل ووكهام هى من إحدى أسباب عدم تواصل إثيل معه، بل وامتناعها حتى من الاقتراب من عتبة المنزل.

شعرت إثيل بمشاعر غريبة حين تعرفت على العديد من الوجوه المألوفة في منزل ووكهام، وعند اقتراب الساعة من العاشرة صباحًا، جاء ريجنالد، وانحنى احتراما لكل التحيات القادمة من جميع الاتجاهات. قلبها كان يخفق مثل الطبول، ولكنها استطاعت تهدئة ثورته، وتمكنت من لفت نظره، فرتبت الأمر لدرجة أنهما التقيا في وقت مبكر من المساء في غرفة الرسم.

شرع ريجنالد في الحديث، فقال: "لا مفر منه، كنت أتوقع هذا"

أضافت إثيل: "بالتأكيد، كان مقدرا لنا اللقاء"

عادت لها الذكريات كاندفاع عظيم لتيار مياه، لا يزال الرجل ساحرا بشكل مرعب رغم مرور سنوات عديدة، فقط هى التي لم تعد غُرضة لسحره. أصبحت الخطوط المحيطة بفمه أكثر قسوة، وتسلحت عيونه بنظرات حديدية، ولكن في ثانية واحدة ابان تلاقي عينيهما، بدا أن وميض الحنان قد عاد إليه، فقال بكلمات مسبوقة بالحزن: "لماذا تحتم على أولى كلماتنا منذ زمن، أن تكُون مجرد كذبة؟"

إثيل لم تجيب، فنظر لها ريجنالد بمكر وقال: "وهل حبك للصبي عظيم لدرجة جعلتك تتخطين كرهك لي؟"

الملعون يعلم، أجفلت إثيل وقالت: "هل أخبرك؟"

- "ولا كلمة واحدة"

هناك شيء خارق فيه، فلديه قدرة رهيبة على الاختراق. ولماذا قد ترتدي قناعا أمامه، وعينيه تخترقان الموانع كعيني الرب؟

أردفت إثيل: "لا، ليس حبا، بل هو مجرد شعور بالشفقة"

- "شفقة؟"

- "نعم، شفقة على ضحيتك الضعيفة"

- "ماذا تقصدين؟"

- "ريجنالد!"

- "كلي آذان صاغية"

- "أستحلفك بالله..."

- "تحدثي"

- "لقد أفسدت حياة واحدة"

رفع حاجبيه اعتراضا، فأكملت وقالت بغضب: "نعم، أفسدتها! ألا يكفيك هذا؟"

- "أنا لم أدمر حياة أي شخص عن عمد"

- "ولكنك دمرت حياتي!"

- "عن عمد؟"

- "كيف لي إذن أن أفسر سلوكياتك؟"

- "لقد حذرتك..."

- "حذرتني، بالطبع، كتحذير الأفعى لعصفور يقع تحت تأثير سحر نظراتها"

- "أوه، ومن أخبرك أن الأفعى هى الملامة، وليست قوانين الكون الغامضة التي تفرض بالدماء تمرير السطلة بشكل قاسبي من كائن لآخر؟"

- "وهل هذا عزاءا للعصفور؟ لا عليك، دعنا مما حدث في الماضي، ولنفكر في الحاضر؛ أتوسل إليك أن تترك الصبي وشأنه، دعه يطور من نفسه دون أن تحاول خنق الحياة فيه، أو إثارة إعجابه بعقلك الغريب"

احتج قائلًا: "إثيل، أنتِ ظالمة. لو كنت تعلمين...."

صمت قليلا، ثم بدأت فكرة معينة في شغل تفكيره، فنظر إليها باهتمام.

سألته: "لو كنت أعلم ماذا؟"

- "يجب أن أخبرك، هل أنت قوية بما فيه الكفاية؟"

- "قوية لدرجة مقاومة أي شيء تخبئه لي يديك؛ فلا شيء بإمكانك أن تعطيني، ولا شيء بإمكانك أن تأخذه مني"

"بالطبع لا شيء، أعلم ذلك. أعلم أنك قد تغيرتِ، ورغم ذلك أنظر إليك فأجد أشباح الماضي، تنهض مرة أخرى بعدما دبت فيها الحياة".

- "لقد تغير كلانا، نحن الآن نقف على أرض صلبة، فأنت لم تعد الإله الذي صنعته"

- "ألا تعتقدين أن هذا الأمر بالنسبة لإله لهو الراحة بعينها، وليس إذلالا؟ أنه لعذاب أليم أن تظل شفتيك مغلقة للأبد، وأحيانا تزورنا الرغبة الأكثر تحفظا منا لاختراق أسوار الأبدية. الوحدة التي تحيط بأرواحنا، هى التي تدفع المجانين لتمزيق ملابسهم لإظهار عريهم في الأسواق التجارية. قد يبدو جنونا من ناحيتي، أو نزوة، لا أعرف ماذا أسميه في حقيقة ، ولكنه يسعدني بشدة أن أعترف إليك به"

- "لقد وعدتني منذ زمن أنك ستعترف لي بالحقيقة"

- "واليوم سأنفذ وعدي، وسأقول لك شيئا آخر سيصعب عليكِ تصديقه"

- "وما هو؟"

- "أنني قد أحببتكِ"

ابتسمت إثيل بقليل من الشك فيما قاله، وأردفت: "لقد أحببت كثيرين غيري"

أضاف بلهجة قاطعة: "لا، لقد أحببت حقا، لمرة واحدة"

(20)

جلسا في مطعم إيطالي صغير كما اعتادا أن يفعلا في الأيام الخوالي، ومكثا لوقت متأخر من الليل، يرتشفان كؤوس من نبيذ "لاكريما كريستي". لم يخرج من الكأس أية أشباح من الماضي، بل فقاقيع صغيرة متلألئة، كعيون الثعابين، تنظر لها قبل أن تبث في عمودها الفقري قشعريرة باردة، أصابتها بالصمت والذهول.

اقترب النادل حاملا طلباتهما معه، ووقف على مسافة كافية احتراما لهما. شرع وقتها ريجنالد في حديث لم ينقطع، وبابتهاج غريب بدا كأن عينيه يمتلكان شعلة رجل صوفي يعرف الحقيقة المُطلقة. سكت قليلا، ثم قال: "اعذريني إن احتكرت الحديث، ولكن الاكتشافات التي سأفصح عنها من شأنها أن تثير دهشتك. سأبدأ بطفولتي أولا، هل تذكرين الصورة التي التُقطت لي وأنا في الخامسة من عمري؟"

تذكرت إثيل بالفعل، فما من تفصيلة صغيرة عن حياته لم تكن محفورة في أعماق ذهنها. أكمل ريجنالد حديثه وقال: "لم أكن أتميز بأي صفات خاصة وقتها، لم أكن مشرقًا بشكل خارق، والسبب في ذلك هو عقلي المتقلب فوق المعتاد، كان يحتاج وقتها لمحفز خارجي. وفي الوقت الذي أُرسلت فيه للمدرسة، حدث تحول غريب بداخلي، أستطيع القول أنني كنت أكثر الفتية ذكاء في صفي. حتى يومنا هذا كما تعلمين، أنا الشخصية الأكثر لفتا للانتباه على الإطلاق، في أي دائرة أنتقل إليها".

أومأت إثيل برأسها بالموافقة على ما يقوله، وتابعت المتحدث في صمت، وتبين لها وميضًا خافتًا للحقيقة، ولكنه لايزال بعيدا جدًا عن الوصول الكامل إليه. رفع كلارك كأسه وتناول محتوياته، ونظر للضوء المنعكس بداخله وقال: "كمثل الحرباء، أمتلك القوة على امتصاص اللون من بيئتي المحيطة".

تدخلت في الحديث فقالت: "هل تقصد أنك تملك القدرة على امتصاص الصفات الخاصة للآخرين؟"

- "بالضبط، هذا ما أعنيه"

أجفلت وقالت: "يا إلهي!"، فخلال ثواني اتضح كل شيء، أدركت للمرة الأولى

الأسباب الخفية المؤدية لتدميرها، ووضح الخطر الرهيب المحيط بإرنست فيلدينج، بينما طريقة علاجه لا زالت في طي الغموض.

لاحظ توترها وهياج أعصابها، وظهرت نظرات الفضول في عينيه، تبعتها ابتسامة غريبة، ثم أكمل: "أوه، ولكن ليس هذا كل شيء؛ بل هو لا شيء من الأساس. كلنا نمتلك تلك القدرة ولكن بدرجات متفاوتة. أما سر قوتي أنا، فهو القدرة على رفض كل عنصر ضار بداخل ما أمتصه من الآخرين، لأكمل نفسي دون إلحاق الضرر بي. لم أفوز بتلك الموهبة بسهولة، بل انغمست في صراعات كثيرة. والآن، بالنظر إلى ما حصدته في حياتي، فأنا أرى كل الأشياء شفافة وصافية، ويمكنني الآن متابعة الخيوط الدقيقة لشبكة مصيري المعقدة، بل وخلق شبكات أخرى، أكثر روعة وفظاعة".

اهتزت نبرة صوته من نشوة اقتناعه الشخصي بما وصل إليه، وهو ينطق بهذه الكلمات لإثيل. كان يوجد شيء بشع يحيط بهالة الرجل. صورته إثيل في مخيلتها ككاهن لبعض الديانات الغريبة والغامضة، يحاول اصطياد بعض الأضاحي البشرية وتقديمها لإله جائع لا يشبع ولا يرضى. فتنت بسحر شخصيته، واستمتعت بشعور ليس بعيدا عن خوفها منه، ولكن ريجنالد غير نبرته فجأة، وشرع في أسلوب حواري.

"أول صديق لي قد حظى على اهتمامي، كان صبيا موهوبا بشكل رائع، ومتحمس بشدة لدراسة الرياضيات، بينما لم أتمكن أنا من حل أبسط المسائل الجبرية. في أول أيامنا في المدرسة، قضينا فترة نصف الشهر سويا فقط، وعندما تبادلنا الأدوار، أصبحت أنا فائق الذكاء في الرياضيات، بينما هو انطفأ تماما، كان يتلعثم ويفكر كثيرا قبل الإجابة، إلى أن وصل به الأمر أحيانا للبكاء، ثم تخلصت منه للأبد.

شخص بلا قلب، أليس كذلك؟ أنا فقط جئت لأتعلم أكثر ليس إلا. أخبريني، هل تذوقتِ زجاجة نبيذ قد نُزعت سدادتها من قبل؟ وإن فعلتي، مؤكد أنك قد وجدت طعمها باهتا، وعبيرها قد اختفى منها، تبخر، كذلك هو الاهتمام بالآخرين. من المحتمل – لا بل بالتأكيد – أن هناك بعض المبادئ المحتجزة بداخل طيات أدمغتهم و ثنايا أرواحهم، والتي –عند هروبها – تتركهم بلا طعم أو رائحة، وأقل اهتماما

وربحية بالنسبة لنا. أحيانا يختفي هذا الجوهر، وليس بالضرورة أن يكون عنصر مادي في طبيعة الرجل أو المرأة، بل ممكن يكن شيئا في مكنون الروح، ولكنه في النهاية، يختفي دائما. قد يكون قد اختفى أثناء عملية النمو، أو أنه قد اختفى سهوا حين استبدلوه بآخر، أو أننا – بأنفسنا- قد امتصصناه منهم".

سألته إثيل بعصبية، بملامح شاحبة وعيون جافة: "ثم ترميهم بعيدا، أليس كذلك؟"، ومرت رعشة قوية في جسدها وهى تمسك كأسها في غضب. بدا ريجنالد في تلك اللحظة كأمير الظلام بعينه؛ شريرًا ولكنه فاتنا بشكل مرعب، وكأنه قد تم رسمه بيد إلهّ عصريًا. ومرة أخرى، تحول لشخصية سيد العالم؛ وملأ الكؤوس بابتسامة غرور لملك متحكم بذاته. أخذ رشفة نبيذ، وأكمل سرده:

- "تبعني الكثير من الناس، امتصصت العديد من الأشياء الغير مجدية، بل وبعضها كان شريرا. أدركت أنني يجب أن أوجه امتصاصي لطاقات الغير، وهكذا فعلت؛ اخترت، اخترث بعناية. ومع الوقت، نمت بداخلي كل القوى الفظيعة لتي لم أكن مدركا لها إلا جزئيا فقط"

صرخت إثيل: "قوة فظيعة بحق، تتساوى فظاعتها مع صحتها. ولو لم أكن أنا ضحيتها، لما كنت أصدق كلمة واحدة مما تقول"

- "اليد الخفية التي تضرب في الظلام، أكثر فزعا من عدو مرئي. في الحقيقة هى أكثر رأفة أيضًا، فكري في حجم المعاناة التي ستعانينها لو كنتي مدركة لخسارتك"

- "لا زال يبدو لي أنه لا خسارة مطلقة، ويمكن أن نعوض ما حدث، فلا يوجد فعل بلا رد فعل، حتى أنا، يجب أن أتلقى منك تعويضا عما أخذته مني"

"قوانين الفعل ورد الفعل فعالة حقا في المعاملات الحياتية العادية، ولكن لكل قانون قاعدة شاذة، فكري مثلًا في الراديوم على سبيل المثال؛ مصدر ثابت لطاقة تتدفق باستمرار، لا تنضب وأيضا لا تزيد، ولكن العلماء المقدرين للعلم قد قبلوه. لماذا إذا نجد صعوبة في تصور وجود عنصر ، قدرته على الامتصاص هائلة ولكن بلا حدود؟ أنا أشعر بحتمية وجود من يصدق مثل تلك المعجزة في مكان ما، وأؤمن

أيضا بوجود نظير لكل ظاهرة غريبة في هذا العالم؛ فهناك أرواح مثل الراديوم، تشع طاقاتها بشكل لا نهائي، ودون زيادة. وهناك أرواح على عكس الراديوم، لها قدرات على الامتصاص بشكل غير محدود".

علقت وهى ترتجف، بوجه أبيض شاحب: "أنت تمتص الأرواح عوضًا عن الدماء"

- "لا، لا تقولي هذا"

وفجأة بدا وكأن جسده ينمو، ووجهه يشتعل، كوجه إله غاضب. أجابها بوقار: "في كل عصر هناك عمالقة يسعون للوصول لعظمة لا يمكن لأي إنسان أن يبلغها بالنمو الطبيعي لذاته. ولكن في شباباهم، جاءتهم رؤية بمستقبل عظيم، فشرعوا بالسعي وراءه، أمسكوا بأحجار الأهواء واستخدموها لبناء قصور الحقيقة المطلقة، لإبراز أحلامهم على أرض الواقع الوحشية والمستحيل حدوثها. معظمهم قد فشل، وسقطوا من أسطح قصورهم الوهمية. بينما نجح البعض الآخر، وهم المختارون؛ أبناء النجارين الذين قدر لهم وضع قوانين العالم لأمد يمتد لآلاف السنين القادمة، أو كمثل سكان جزيرة كورسيكا البسطاء، اللذين هزت قوتهم ممالك الأرض، ولإعادة البناء تطلب الأمر منهم إرادة مائة رجل وقوة حديدية، لامتصاص الحكمة من عقول الآخرين.

أرسل الرب رُسل، انتشروا في جميع بقاع الأرض جالبين معهم أسرار الحياة، وبيديهم يجتمع كل كنوز العالم، ليصبحوا هم الحكام الأقوياء وأسياد السلام والحرب، يفتحون بحارا جديدة ويرفعون الحواجز الفاصلة ما بين القارات البعيدة، وهم وحدهم القادرين على إنجاز مالم تجرؤ الأمم على إنجازه، بخطوات العمالقة العظيمة يتسلقون النجوم، وينجحون فيما فشل فيهه ملايين البشر.

استحوذوا على الفنون، صنعوا ملاحم جديدة بأساليب حالمة. جعلوا من أنفسهم عيون الرب الشعرية؛ هوميروس، شكسبير، وهوجو بلزاك هم من جمعوا الأشعة المتناثرة لآلاف النجوم الصغيرة في شعلة غنائية واحدة. لتصبح شعلة عملاقة، تضئ طريق البشرية"

حدقت فيه بعيون شاخصة، وفم مفتوح، ذهب الضياء من عينيها، انطفأت تماما، أصابها الإنهاك من مدى قوة شره وغروره، بدا الرجل كتجسيد مطلق للقوة والشر، أدركت إثيل ضخامة تصوره عن الناس. رأت روح المرأة المنتفضة ضد الظلم- لأولك اللذين انطفأ ضيائهم من أجل إشعال شعلة الشر تلك- وجه إرنست الشاحب، يحدق بها من داخل كأس النبيذ.

صرخت وهى تبكي: "قاسي، يا لك من وغد قاسي!"

سألها: "وما المهم في ذلك؟ لقد استحوذت على قوتهم، ولكن روح الإنسانية موجودة في كلانا، ومن شأنها –إن استطاعوا– أن يجعلوها تنتصر".

(21)

صمتا طويلا قد تبع كشف ريجنالد لأسراره، لم يكسره سوى تقديم النادل للطلبات، وبمجرد كسر التعويذة، تبادلا بضعة ملاحظات - إلى حد ما- ليست ذات صلة بحديثهما. تطرق عقل إثيل مرارا وتكرار للكلمات التي لم يقلها؛ فهو لم يذكر شيئا عن تأثير قوته الوحشية المباشر على حياتهما؛ هي وإرنست فيلدينج.

اقتربت مرة أخرى من الموضوع، وبنوعٍ ما، قالت بخجل: "لقد ذكرتُ لي أنك قد أحببتني"

- "بالطبع قد فعلت"

- "ولكن، لماذا إذا..."

- "لم يكن الأمر بيدي"

- "هل قمت بأدني محاولة؟"

- "قمت بمحاولة عديدة في ساعات الليل القاسية، ناضلت ضد مشاعري، حتى أنني قد طلبت منك أن تتركيني"

- "أه، ولكنني قد أحببتك"

- "لم أحذرك، لأنك لن تستمتعي، وببطء، خرجت من حياتك قوتك الإبداعية"

- "ولكن ما الذي جذبك في فني الفقير، ماذا مثلت لوحاتي بالنسبة إليك؟"

- "كنت بحاجة إليكِ، كنت بحاجة لفنك، نضح على إبداعي النثري ما اختفى من لوحاتك، أصبح أسلوبي أكثر فخامة مما كان عليه، بينما تعذبت روحك وهى تحاول عبثًا إعادة ما فقدتيه من فنك بلا رجعة".

- "ولماذا لم تخبرني؟"

- "كنت ستسخرين مني، ولم أكن لأتحمل سخريتك. أكنت أتمنى أن أتحقق من

القوة الغامضة بداخلي، حتى فوات الأوان. ومع ذلك، سرعان ما أدركت أن الأمر خارج عن إرادتي. لقد جعلني إله غامضا أداته لتحقيق ما يريد، وسلطته كانت أكبر مني"

سألت إثيل: "ولكن لماذا كان من الضروري أن تهملني، كثوب منبوذ، كعاهرة فقدت قدرتها على الإمتاع؟"

اهتزت مشاعرها وهى تتحدث، فقد تذكرت اللحظة التي أخبرها فيها ببرود أنها لا تعني له شيئا، منذ سنوات.

أجابها ريجنالد بنبرة شبه حزينة: "قانون الوجود؛ القانون الكوني الذي تخطى قدرتي على التحكم. أشفقت عليكِ، ولكن شعورك الأبدي بالمعناة لم يزيد سوى حنقي. قل اهتمامي بكِ، وعندما امتصصت منك ما تطلبه كوني أقوى، أصبحتِ ميتة بالنسبة لي، أقرب للغرباء. لم يعد بيننا أي مصالح تجمعنا؛ ومن وقتها فصاعدا، علمت أن حياتنا يجب أن تستمر في سعيها نحو مجالات مختلفة.. هل تتذكرين يوم وداعنا؟"

صححت له سؤاله فقالت: "تقصد يوم ركعت على ركبتي وتوسلت إليك؟"

- "دفنت في ذلك اليوم حلمي الأخير بسعادتي الشخصية، تمنيت وقتها أن أرفعك من على الأرض، ولكن مشاعر الحب كانت قد زالت للأسف. لو كنث ودودا اليوم على عكس ما تميزت به شخصيتي، فذلك لأنكِ تعنين الكثير بالنسبة لي أكثر من كونك رمزًا للتخلي. عندما اكتشف أنني غير قادر على حماية الشيء الذي أحبه، قررت أن تصبح مشاعري قاسية تجاه الأخرين. ليس لأنني لا أحمل أي مشاعر طيبة، ولكن لم يكونوا مهمين للدرجة التي تجعلهم يسجدون في طريقي فأتنازل عن مهمتي، التي تمثل الحياة بالنسبة لي".

وجه ريجنالد كان مضيئا، كمن يلقي خطبة أمام تلاميذه المشدوهة أبصارهم من هول أسراره، ويخمنون إذا ما كان رجل معتوها، أو رسولا من رُسُل الرب.

علقت إثيل بعد فترة فقالت: "ولكنك قد نميت بداخلك قدرات جعلتك من أشهر

شخصيات العصر، ألم تكتفي، أليس هناك حد لطموحك؟"

ابتسم وأجابها: "طموح؟! شكسبير قد توقف عندما بلغ نموه الفكري الكامل، واستنفذ قدرات فنانين عصره. أنا لستُ مستعدا لوضع قلمي والراحة"

- "وهل ستستمر في اتخاذ مسارك الإجرامي هذا؛ كقاتل للأرواح الأخرى؟"

نظر إليها بهدوء وأجاب: "لا أعلم..."

- "هلِ أنت دمية في يد إلهك المجنون؟"

كُلنا عبيد ودُمى، ولكن مجردة من الأسلاك؛ أنتِ، أنا، إرنست. الحرية لا توجد على الأرض ولا في السماء، النمر الذي يفترس الخراف ليس حرا، لا وجود للحرية، كل ما يحدث يجب أن يحدث، ما من كلمة قد قيلت هباءً، وكذلك ما من يد قد رُفعت بالإيذاء بلا سبب"

سألته إثيل بشغف: "وإن حاولت أن أنتزع ضحيتك من قبضتك، أيجب أن أكون أداة في يد إلهك أيضا؟"

- "بالتأكيد، ولكن أنا المختار"

- "هل تستطيع أنــ...هل يمكن تحريره؟"

- "سأحتاجه لفترة أطول قليلا، وبعد ذلك هو ملكك"

- "حتى لو ركعت على ركبتي وتوسلت إليك مرة أخرى؟ على الأقل فك قيوده قبل أن تنتهي حياته تماما"

- "هذا أمر فوق طاقتي، إذا كُنتُ لم أتمكن من إنقاذ من أحببت، فمن الذي بإمكاني أن أنقذه من مصيره الحتمي؟ بالإضافة إلى أنه لن يتلف تماما، بل جزءا فقط مما استوعبه، فهناك أوتار أخرى في روحه لم أعزف عليها، ستهتز يومًا ما حين يجد قدرات أخرى تتطور بداخله. أنت أيضًا، كنتي ستوفرين على روحك الألم لو لم تسعي لتحقيق النجاح في مجالات مختلفة لم أتطرق لها في فترة حصاد سنواتي السابقة... أنا لم آخذ منه سوى القليل من موهبته، والباقي لا يمكنني إلحاق الأذى به. فلماذا

يدفنه إذا في مقبرة بؤسه؟"

شرد كلارك بعينيه في زجاج النافذة ، متطلعا للسماء كما لو كان يكلل نهاية كلماته، بتشبيه إرادته التي لا تقهر، بمسار النجوم الذي لا يتغير، بينما إثيل قد كانت –شبه- نسيت الألم الذي عانت منه على يديه. لا يمكن قياس قوة هذا الرجل بالمعايير العادية، فهو مجنون ومبهر، وإرادته المريضة قد زرعت بداخله قوة خارقة، ولكن... هناك شاب، حياته على المحك.

بداخل عينيها رأت ريجنالد وهو يسحق روح إرنست بلا رحمة؛ كزهرة آكلة للحوم، تغلق أوراقها على ذبابة لا حول لها ولا قوة. غارقة هى في حُب يقوي من عزيمتها، ستقاتل من أجل إرنست كقطة تحارب النمر المفترس من أجل صغارها. وضعت إثيل نفسها في طريق تلك القوة الرهيبة التي دمرت طموحها، لتنقذ بأي ثمن.. الصبي العبقري، الذي لم يحبها.

(22)

سقطت أشعة شمس أواخر فترة الظهيرة على زجاج نافذة إرنست، كان مستلقيا على أريكته، في شبات أشبه الموت. لم يكن، ولأول مرة، متوترا من وجود ريجنالد كلارك.

ريجنالد كان يقف بجانب سرير الصبي، ملامحه هادئة، غير متأثرًا بأي شئ كما إعتاد أن يكون. لم تترك إثارة الحديث مع إثيل أي علامات ضيق على خطوط جبهته المحفورة بعمق، ارتدى حُلة مسائية ووضع فيها زهرة السحلبية أرجوانية اللون، ليظهر ما يرتديه المعنى الحرفي لجمال الحياة.

نظر بازدراء لإرنست، ووضع يده على جبينه كما لو كان يمسح حبيبات العرق من عليها، ومع لمسات يده، تحرك الصبي بتوتر.

شعر بألم غريب إبان بقاء يد ريجنالد على جبهته، تأوه ببطء كمن تحت تأثير بقايا مخدر عملية جراحية، دون أن يمتلك القدرة على اختراق الحاجز تجاه الموت، أو العودة لأعتاب الحياة على الجانب الآخر. وفجأة، تنهد بقوة وتحركت شفته السفلى الشبه مشلولة، وتمتم بكلمات غير مفهومة.

صرخ قبيل استيقاظه من سباته فقال: "بحق رب السماء، ارفع يدك عني!"، وفورا، تبدلت ابتسامة ريجنالد لنظرة وحشية عنيفة. لم يعد ذلك الرجل المثقف؛ بل تحول لوحش كاسر يقبع فوق فريسته. رفع يده من على جبهة إرنست، وتوجه نحو الباب نصف المفتوح.

استيقظ إرنست تماما في تلك اللحظة، وتلاحقت أنفاسه كفريسة مُطاردة من قبل حيوان متوحش. وضع وجه بين يديه، فسمع صوت طرقات على الباب في غضون لحظات، ودخل ريجنالد للغرفة مرة أخرى، بملامحه الباردة الهادية، كما كان من قبل.

صاح ريجنالد فقال: "أكاد أجزم أنك كنت نائما نوما أبدي"

أردف إرنست: "أنا لسث كسولا، ولكني أعاني صداعا شديدا"

- "ربما هذه القيلولة ليست جيدة لصحتك"

- "ربما، ولكني كنت أنتهز الفرصة وأنام بضعة ساعات من النهار في الآونة الأخيرة، لتعويض نوم الليل الذي جفاني. أعتقد أن عُسر الهضم هو السبب؛ فكما قُلت لي من قبل، المعدة هى مصدر الشرور"

- "وأيضا مصدر الخير. اليونانيون القدماء إتخذوها كوعاء للروح، ولطالما إقتنعت أن أهم عنصر في سيرة الشاعر الناجح، هو كتابة قصيدة عن روتين طعامه اليومي"

- "صحيح، فالرجل الذي يتناول شريحة من لحم البقر صباحا على الإفطار، غير قادر على كتابة قصيدة في فترة الظهيرة".

أضاف ريجنالد: "بالطبع، فنحنُ ما نأكله وما أكله أسلافنا من قبل. أعتقد أن فساد الشعر الأميريكي يعود لتناول أسلافنا المتزمتين للكعك المُحلى. والأن، أعتذر على عدم إكمال حديثنا في الوقت الحالي لأنني مدعو للعشاء، حيث سأدرس تأثير الصلصة الفرنسية على قصائدي الشعرية".

- "حسنا، مع السلامة"

لوح ريجنالد بيده وقال: "إلى اللقاء"، ثم غادر الغرفة.

أغلق ريجنالد الباب خلفه، فبدأت أفكار إرنست في اتخاذ منعطف خطر، فنبرة المزاح التي غلفت كلماته منذ قليل، ما كانت سوى قناع لما يسبح في مستنقع مخاوفه المظلمة.

عذبت الأحلام الشريرة ساعات نومه خلال الأسابيع الماضية، وألقت بظلالها على ساعات اليقظة. ثم ازدادوا حدة وبشاعة، وظل يرى –حتى الآن – تلك الأصابع الطويلة المدببة أظافرها، وهى تلمس جبهته كل ليلة، بل وكانت تبدو وكأنها تخترق جمجمته، وتحرص على الوصول لتلافيف عقله الغير معدودة، وصولا إلى حيث يكمن الفكر.

ويا له من عذاب، بل هو المعنى المُطلق! العقل البشري ليس مصنوعا من الحجر، بل هو حي، حي بشكل مؤلم حد الموت. إلى ماذا كانت تسعى تلك الأصابع، هل تبحث عن كنوز غامضة، ما هى المجوهرات المخبأة بداخل طبقات عقله السفلية، الإدراك؟ وكأن عقله كمنجم يهتز تحت تأثير ضربات معول لعاملٍ جشع، آه؛ عامل المنجم، هو عامل المنجم!

من ضرب بلا توقف ولا هوادة لوقت كامل، حتى فتح وريدا تلو الآخر وانتزع كنوز لا تحصى من تلك الأرض البريئة المرتعشة. ولكن كل وريد، كان يمثل نبته حية ستزهر حلما، وكل كتلة ذهبية صلبة كانت هى الفكرة!

لا عجب أن إرنست كان دائما عصبيا ومحطما؛ كلما صرخ عقله ليلد فكرة صاغها بشكل جيد، يجد يدا شريرة تمسك بها في أحلامه وتأخذها بعيدا، بعدما تقطع الخيوط الدقيقة التي تربط الأفكار بعقله. وحين يأتي الصباح، لا يجد إلا ألم الرأس الشنيع، ليس بألمٍ حاد، ولكن ذلك النوع الخفيف والثقيل، المستمر بلا توقف.

إرنست كان يعزي نفسه قائلا أن تلك الأحاسيس، ماهي إلا خيالات مروعة، وأن الوحش ذو الأذرع الطويلة الذي نخشاه، لربما يكون بلا ذراعين من الأساس، فالعقل بإمكانه أن يقضي على العقبات وبإمكانه أيضًا أن ينشئها.

لم يكن إرنست بعيدا عن مجال علم النفس، ودائما ما بحث عن اقتراح يفسر ما يحدث له، وذلك ما كان يؤرق نومه ليل نهار. ولكنه أدرك أيضا أن تفسير ظاهرة ما، لا يعني تفسيرها حقًا. فالرجل القادر على تحليل عواطفه لا يتمكن من الهرب منها، ويظل الخوف –البدائي الغير قابل للتفسير– يظلم حياة أعتى علماء النفس والمفكرين الأكثر عملية ووضوحًا.

إرنست لم يتحدث مع ريجنالد قط عن كوابيسه الرهيبة، بعد واقعة المسرحية التي كتبها – تقريبا -، "الأميرة ذات الوشاح الأصفر"، والتي عادت إليه بكوابيسها مرة أخرى. من المؤكد ان تلك الكوابيس ستثير شكوك حول عقل إرنست من قبل ريجنالد. ربما يرسله لمصحة عقلية، بالتأكيد لن يبقي عليه في منزله، فوقتها لن يبقي على ضيف قد يعرقل مسيرة أعماله وأفكاره؛ ريجنالد حينها سيتصرف بلا

رحمة.

وبعد مرور العديد من الأيام، قفز "إبيل فيلتون" لعقل إرنست، ذلك المسكين، ماذا حل به؟ ماذا فعل بعدما عاد لمنزله؟ لن يتحمل إرنست أن يخبره أحدهم بالمغادرة، ولكن مهلا، ريجنالد مولعا به، لن يفعلها معه.

انقطعت تأملات إرنست فجأة بسبب صوت الطرقات على الباب الخارجي، ثم صوت وضع احدهم للمفتاح في الثقب القفل. لابد أنه هو، ولكن ما الذي أتى به مبكرا هكذا؟ فتح باب الغرفة وخرج ليرى ما يحدث. من المؤكد من مظهر الشخص القادم أنه لم يكن من المتوقع مجيئه، ليس شخصا! بل هى امرأة تضع عباءة مسرح على كتفيها وثناياها الرشيقة، لابد أنها ضيفة لريجنالد.

إرنست أوشك على الرجوع لغرفته في هدوء، لولا أن مصابيح الردهة قد أنيرت، لتكشف عن وجه الزائر وتبينه. حينها، صرخ إرنست من المفاجأة وقال: "إثيل! هل هذا أنتِ؟"

(23)

دعا إثيل براندبورج إلى غرفته وساعدها في خلع العباءة، وأثناء تعليقها على ظهر كرسيه، لاحظ أنها تضع المفتاح بسرعه في حقيبة يدها. نظر إليها وفي عينيه الكثير من التساؤلات، فأجابت: "نعم، أنا أحتفظ بالمفتاح، ولكني لم أتمنى يوما أن أمر ولو لمرة واحدة من أمام مدخل المنزل منذ هجرته".

بدأ الظلام باحتضان الشوارع في الخارج أثناء ذلك الوقت، ، فأرسلت عواميد الإنارة ضياءها الخافتة لتخترق الغرفة، فبدا وكأن ظلال المارة تتراقص على الجدران. انتشر عطر شعرها في أرجاء الغرفة فملأ قلب الصبي بأحاسيس رومانسية، واستولت غرابة تلك الزيارة الغير متوقعة عليه وعلى مشاعره، وعلى الوقت أيضا. أثار شغف وجودها مشاعره، واستيقظت روحه من ثباتها العميق. احتضن رقبتها بيديه، وظل يتمتم بكلمات غير مرتبة، لكنها حلوة ومجنونة.

قالت له ببرود: "أضئ الأنوار"

- "لم تكوني بمثل هذه القسوة من قبل"

- "لا يهم، فلم آتي إلى هنا للحديث عن الحب"

- "لماذا أتيتِ إذا؟"

شعر إرنست بالإحراج وخيبة الأمل عندما نطق بتلك الكلمات، ما الذي دفعها للمجيء إذا؟ خفف حدة يديه من على رقبتها، وفعل ما طلبته منه. بدت شاحبة، ولكن ما أجملها! لقد حزنت عليه بالتأكيد، ولكن لماذا لم ترد على رسائله؟ نعم، لماذا؟

ابتسمت بحزن وقالت: "رسائلك؟ وهل توقعت أن أرد عليهن؟"

اقترب منها مرة أخرى، كانت شفتيه قريبتين من شفتيها، وقال: "ولم لا، لقد اشتقتُ إليكِ، أنا أحبك"

أنفاسه سممت ثبات عقلها، كانت كعطر رقيق، ولكنها لم تستلم. أردفت فقالت له:

- "الآن تحبني، ولكنك لم تحبني حقا وقتها. كلماتك كانت باردة، من صنع ماكينة تنتجها ببرود، بالطبع لم أرد، بل قُلت في قرارة نفسي أنك من المؤكد قد نسيتني، ولكني علمت لاحقا ان هناك قوة خطيرة تستولي عليك وتمحي كل الصور من ذهنك، لتبقى صورتها هي فقط"

- "لا أفهم"

- "هل تعتقد أنني جئت إلى هنا لمناقشة أمرا هينا؟ بالتأكيد لا؛ أنها مسألة حياة أو موت بالنسبة لك، أو بالأحرى، بالنسبة لفنك"

- "ماذا تقصدين بذلك؟"

- "هل قمت بكتابة أي شيء منذ آخر مرة رأيتك فيها؟"

- "بالتأكيد، أعتقد... نعم، عدة مقالات في المجلات، وقصيدة"

- "لا، ليس هذا ما أسأل عنه، هل كتبت شيئا كبيرا، هل تطورت منذ فصل الصيف، ماذا عن روايتك؟"

- "لقد انتهيت من تخيلها ذهنيا، ولكني لم أجد الفرصة لكتابتها الفعلية، فقد أصابني الإعياء مؤخرا.. أنا مريض للغاية"

لم تشكك في كلامه، فوجهه شاحبا وممطوطا، وزادت خطوط غريبة حول فمه بأكمله، لتصبح هيئته في المجمل كرجل يعاني مرضا خبيثا"

سألته أكثر فقالت: "قل لي، هل سُرق منك أي شيء مؤخرا؟"

- "هل تقصدين من لصوص مثلا أم ماذا؟"

- "لصوص؟! يمكن للمرء أن يحمي نفسه منهم بحق الإله"

حدق فيها بحدة، نصف خائف من ذاكرة هاجمته لذلك الكابوس القريب، نعم، الكابوس، تلك اليد المخيفة! هل يمكن أن يشعر بمدى حقيقة كابوس لتلك الدرجة؟ وارتجفت شفتيه.

لاحظت إثيل خوفه الظاهر عليه، فأزادت بنفس الإصرار: "هل جاءتك أية أفكار أو مخططات، ثم بدأت تنفيذها دون النية لإكمالها؟ هل زارتك أحلام جميلة أعطتك بعض الخيوط لأعمال قادمة، ثم تلاشت مرة واحدة دون مقدمات؟ هل شعرت بأن هناك من يعبث بعقلك ويمتص منه أحلامك وأفكارك بمنتهى الوحشية؟"

هل ما شعر به يشبه بما وصفته!؟ لا، بل هو عين الحقيقة، إرنست نفسه لم يكن ليوصف ما شعر به خلال الأشهر الماضية بتلك الدقة الرهيبة. سقطت كل كلمة من فم إثيل كالمطرق على رأسه، ارتجف، ووضع ذرعيه حولها طالبا للأمان، لا الحب. لم تنفر منه هذه المرة، بل احتضنته بكل ثقة وحنان، كأم تحتضن صغيرها، وبدء في سرد صور المعاناة التي أحالت حياته جحيما.

خيم السخط عليها وهى تستمتع، وهطلت دموعها بلا هوادة، الغضب والحزن يثقلان من رموشها، ولم تعد تتحمل ذلك المشهد المثير للشفقة.

قالت بنبرة يشوبها الحزن: "أتدري من هو جلادك يا صغيري؟"

انتقلت الحقيقة منها إليه بسرعة البرق، ، دون أن يخبره تنبيهها المفاجئ له ما تخفيه كلماتها.

- "لا! لا بحق المسيح، لا تنطقي اسمه"

بكى وأكمل: "لن أستطيع تنفسه بداخلي، سيصيبني بالجنون، لا تنطقي اسمه!"

(24)

قصت إثيل على إرنست ما حدث في مقابلتها العظيمة مع ريجنالد كلارك بهدوء شديد، وبصعوبة في كبح جماح مشاعرها كيلا تثير غضب الصبي أكثر.

وفي خضم صمت طويلا قد أعقب حدثيها، اصطدمت جناحي روحه بأجنحتها، واندمجت مشاعر الحب بألف سلسلة من الآلام المشتركة بينهما. داعبت أصابعها العاجية خصلات شعره الذهبية المنسدلة على جبينه، كما لو أنها تبعد أعين الشيطان التي تنظر له عبر أبعاد ومساحات الماضي البشع. وسريعا، عادت إلى ذاكرته ألف واقعة ليصبحن شهودا، على الحقيقة الدامغة التي تبلورت بعقله.

مسرحيته، الكوابيس المؤلمة، فقدان التركيز على روايته التي كاد أن يقتنع أنها ناتجة عن مرضا عقليا. تحولت تلك الحقائق المتراكمة لدلائل على جريمة ريجنالد كلارك الوحشية، وفهم إرنست أسباب فراق إيبل فيلتون، ونظرات إثيل للرجل المتوحش في أول يوم قد قرر فيه أن يربط مصيره بمصير ريجنالد.

تذكر تجربة ووكهام أيضًا، وملاحظات ريجنالد حول أنصاف تماثيل شيكسبير وبلزاك، التي أشارت بشكل لا لبس فيه إلى كلمات إثيل، فتأكد أنه كان مُضيف ريجنالد التالي، أو بالأحرى، ضحيته القادمة.

ثم قفزت له ذكرى اليوم المشؤوم، حين تُوِج ريجنالد نفسه بإكليل شعري ليس من حقه، وكلمات إرنست التي سقطت من شفتي اللص بإيقاعاتها الذهبية، ذات الرائحة الأجمل من أزهار النرجس وأصوات الأجراس الفضية. كان يومها إلهًا مزيفا، يبعد آثار الحقد والكره عن قلبه من أمام أعين زواره، دون أدنى شعور بالشفقة على إرنست، الذي رفعه لمكانا قريبا جدا من قلبه.

صرخ إرنست: "مستحيل، كلها أوهام، مجرد كوابيس مرعبة لا تمت للواقع بصلة"

أردفت إثيل: "ولكنه قد إعترف بنفسه بكل شيء"

- "ربما قد تحدث بشكل رمزي، فكلنا نستوعب أفكار بعضنا البعض إلى حد كبير،

ولكننا لا نسلب حياة الآخر الفكرية وندمرها. قد يكون ريجنالد معدوم الضمير لاستخدام قوته في إقناع الأخرين بطمس أفكارهم وإغلاق عقولهم، كذلك فعل شكسبير. لا لا، أنتِ مخطئة، لقد خُدع كلانا بقصة قد اختلقتها عقولنا وآمنا بها. لربما قد لعب ريجنالد بالفكرة، ولكنه لم يطبقها بشكل جاد"

- "وتجربتك معه، وإبيل فيلتون؟ هل هما أيضا مجرد سوء تفاهم؟"

- "فكري في الأمر؛ النظرية بأكملها سخيفة وغير عملية بالمرة. حتى وإن ذكر قدرته على تنويم ضحاياه مغناطيسيا، وفعلها معي أو مع غيري، سيتخذ الموضوع مسلكا آخر تماما. أنا لا أنفي وجود أمرا خاطئ، وأن منزل ريجنالد كلارك ليس بالبيئة الصحية المناسبة لي، ولكن تذكري أننا غير مرتبطين ببعضنا البعض حد الجنون"

لم تقتنع إثيل بكلماته مطلقا، وصرخت فيه وقالت: "أنت لازلت تحت تأثير تعويذته!"

اهتزت ثقة إرنست بنفسه قليلا، وقال لإثيل: "ريجنالد غير قادر على مثل تلك الأفاعيل، وبالتأكيد لا يملك القوة الخارقة التي نتحدث عنها. هو فقط، رجل الحديث الرائع، ميداس ذو اللمسات السحرية الذي يحول أي شيء لذهب. أعترف أنها ظروف مشبوهة، ولكنها لن تثبت أي نظريات خيالية في عقولنا. ماذا سنقول للمحكمة إن تقدمنا بشكوى، سترفض الأخيرة أي أدلة باعتبارها جنونية. رغم أنه أمر رائع وسحري، إلا أنه غريب تماما عن أي تجارب عملية"

أردفت إثيل بلهجة غريبة: "ولكن على الرغم من ذلك..."

- "ماذا، ماذا تقصدين؟"

"أنت بالتأكيد قد سمعت عن قصص تناولتها أمم مختلقة عما يطلق عليهم بمصاصي الدماء؛ كائنات لا تكن شريرة بالضرورة، ولكن لها دافع غامض يقودهم كل ليلة تجاه غرف النوم الغير مشددة الحراسة، لامتصاص دماء الضحايا النائمين. وبعد أن تلتصق روح الضحية بروح الكائن عن طريق رباط الدم، يعود الكائن للظلام مرة أخرى. شفاههم حمراء، لا ينعمون بالراحة في قبورهم، ويعودون مرة أخرى

لمساكنهم المغلقة القديمة، بعد اعتقاد الآخرين بأنهم قد ماتوا.

أما ضحاياهم، فلا يبدون أي أعراض واضحة للأطباء لوصف العلاج المطلوب. يجن جنون ذويهم والمُعالجين، فلا سبب واضح للعلة، بينما تصرفات الضحية تغدو أقرب للجنون. قديما في بعض الأزمنة المظلمة، كشفت السجلات عن بعض الفرق التي ذهبت للبحث ونبش المقابر تحت إشراف كاهن الكنيسة الأكبر، وبعد الحفر لساعات، وجدوا أن المقبرة وكل ما فيها قد تعفن من أطعمة وزهور، بينما بقى الجثمان كما هو؛ غض، مفعم بالحياة. الحشرات تزحف من تجاويف الفم والأنف، شفاههم حمراء ورطبة، مع القليل من بقع دم الضحايا عليها".

انجرف إرنست مع كلماتها، والتي كانت تشبه إلى حد كبير تجربته الخاصة، ولكنه أصر على عدم التصديق والاستسلام.

- "كل ما قُلتِ مثير للإعجاب، أعترف بأنها قصص غريبة. لكنكِ تتحدثين عن أساطير لا أساس لها ولا دلائل ملموسة، ولا يمكنك أن تتوقعين من رجل قد درس العلوم الحديثة أن يعترف بها، حتى مع احتمال وجود تشابه بينها وبين ما حدث لي، أنا لا أؤمن ذلك الإيمان الخام بأساطير العصور الوسطى!"

- "ولم لا، فعلمائنا قد أثبتوا صحة أكثر النظريات جموحا، تحويل المعادن لم يعد مجرد تكهنات، والراديوم المشع أصبح حقيقة في علوم الحركة الدائمة. بعض النظريات تقول أن عدد الزوايا في المثلث يساوي أقل من عدد زاويتين قائمتين، بينما تشير بعض النظريات بأنها أكثر. حتى العلماء العظماء الذين تطرقوا لدراسة الطبيعة، قد اتجهوا بعد للروحانية. تغلب العالم على شكوك القرن التاسع عشر، وتقبل الناس مرة أخرى الحياة الرائعة الغامضة للغاية. ولكن يبدو أن معجزات الأيام القديمة قد عادت بوحوشها وكوابيسها، ولكن في بمظهر أكثر حداثة".

اقتنع إرنست نوعا ما بكلماتها، بدأ في التجول في الغرفة بعصبية، وقال لها أخيرًا :"هناك بعض الصحة فيما تدعي، ولكني لازلت أجد تصديق هذا التفسير مستحيلا. ريجنالد مصاص دماء؟! أمرا سخيفا، إن كنتِ قد أخبرتني بتلك القصة في مكان آخر لكنت صدقتك، ولكن هنا! في المدينة العظيمة، في ظل مبني فلاتيرون!

يستحيل أن أصدق"

أجابته بدفء: "وبرغم ذلك مُثبت وجودها، ولطالما كانت موجودة، ليس في العصور الوسطى فقط، بل في كل الاوقات. لا توجد أمة واحدة لا تمتلك سجلات عن تلك الأشياء، حتى نحنُ قد حاولنا العثور على إحدى تلك الاكتشافات. على كُل، هل لا حق لنا في افتراض وجود بعض الأسس المنتمية تلك الأساطير، وتأثيرها على التجربة البشرية الفعلية؟"

عقد إرنست جبينه، وهاجمته أعداد لا حصر لها من المخاوف. ظهرت تجاعيد مبكرة على وجهه، وبدا أضعف مما كان، كشخص تائه في متاهة لا نور فيها. إرادته مقتنعة تماما بما سمع، وقناعاته العقلية تحاول أن تنفي ما قيل لتبين كذب ما تدعي إثيل، وإن لم تكن كاذبة.

صاح بكلماته كالمنتصر فقال: "ورغم ذلك، فهم يمتصون الدماء. كيف لرجل أن يمتص شيئًا غير ملموس في دماغ الآخر، كالفكر والأحلام؟"

- "أنت محق، ولكنك قد نسيت أن الفكر أقوى وأكثر واقعية من الدم!"

(25)

مرت ثلاثة ساعات منذ أذهلت إثيل – إرنست- بتلك النظريات المظلمة، ولكن خلال ذلك الوقت القصير، نضج حبهما وكأن كل ساعة كانت بمثابة سنة كاملة؛ اختفى الشحوب من خديه، عاد الهدوء لعينيه القلقتان، تغلغل عطرها الفتان في جسده وجعله قادرا على مواجهة القوة الجبارة المتمثلة في شخصية ريجنالد كلارك. الطفل بداخله قد ترك مساحة كافيه، لظهور رجل قادر على مواجهة أعتى المشاكل، وقرر ألا استسلام دون حتمية المواجهة، فتركته إثيل يكتب مصيره بيده. حاك الحب له معطفا يجعله قادر على صد هجمات الشر الباردة، ورغم ذلك، حاولت السيدة أن تقنعه بمغادرة المنزل معها.

قالت إثيل: "يجب أن أذهب الأن، أنت لن تأتي بعد كل ما حدث؟ أخشى عليك من بقائك هنا"

أجاب إرنست: "لا يا عزيزتي، لن أتنازل عن ما هو ملكي، يجب أن أحل لغز هذا الرجل. وإن أثبث صحة حقيقته، فسأنتزع منه ما سرقه مني، حتى ولو كانت رواية غير مكتوبة"

- "لا تحاول الاصطدام به علانية، فلن يمكنك مقاومته"

- "اطمئني، أنا على أهبة الاستعداد. لقد شعرت بحلاوة الساعات الماضية مما جعل الحياة تستحق أن أعيشها، لدرجة أنني لن أعرض نفسي بأي شكل للخطر، ولكني لن أذهب دون أن أتيقن. إن كانت الحقيقة تقبع أسفل مخاوفي، فيجب أن أنتزعها لأشعر بكوني إنسانا يستحق الحياة"

- "ما الذي تخطط لفعله؟"

- "مسرحيتي، أنا متأكد أنها ملكي. لستُ متأكدا إن كُنت سأستعيدها؛ فأنا أعتبرها مفقودة للأبد. لقد قرأها للحاضرين في حلقته الثقافية، ويستعد الأن لنشرها. ومهما صدقنا أنا وأنتِ بأنه يمتلك قوة خارقة، فلن يصدق أحد شهادتنا. سيعتبرانا مخبولان!"

- "لا، لسنا بمخبولين، ولكن من الجنون أن تبقى أنت هنا"

- "لا تقلقي، فأنا لن أبقى لدقيقة أكثر من اللازم. سيكون لدي دليلا قاطعا خلال أسبوع، إما بكونه مذنبا، أو بريئا"

- "كيف ستفعل هذا؟"

- "منضدة كتاباته"

- "ماذا؟!"

- "نعم، قد يكمن فيها بعض الدلائل أو الملاحظات"

- "ولكنها لُعبة خطرة"

- "سأخوضها لأجل كل شيء سأفوز به"

أردفت إثيل بحسرة: "أتمنى لو بإمكاني البقاء معك، أليس لديك صديق، أو أي شخص بإمكانك الوثوق به في مسألة خطرة كهذه؟"

- "نعم، صديقي چاك، لماذا؟"

شحب وجهها وأظلم، ثم قالت: "هل تعلم، أشعر أنك تهتم به أكثر مني"

أجابها: "هذا هراء، هو فقط صديقي، أما أنتِ فأكبر مما يقاس به أي شخص"

- "هل لا زالت لا زالت علاقتك معه حميمة كما التقيت بك أول مرة؟"

- "ليس تماما؛ بدا مقلقا في الفترة الأخيرة، كما لو كان هناك حاجزا رقيقا بيننا، ولكنه لن يتكاسل عن مساعدتي إن طلبتها"

- "متى يمكنه الوصول إلى هنا؟"

- "بعد يومين أو ثلاثة"

- "خلال ذلك الوقت، أريدك أن تكون حذرا للغاية. أريدك أن تغلق بابك جيدا في

الليل"

- "لن أغلقه وحسب، بل سأضع متاريس. سأحاول بكل قوتي أن أكتشف سر هذا اللغز، دون تعريض نفسي لمخاطر لا داعي لها"

- "سأذهب الأن، أعطني قبلة الوداع"

- "على الأقل دعيني أصطحبك للسيارة...."

- "منِ الأفضل ألا تأتي معي"

اصطحبها للباب، فقالت إثيل: "أكتب لي كل يوم، أو هاتفني إن استطعت"

أومأ برأسه بثقة، كما لو أنه يقنعها بقوته. ولكن حين أغلق الباب خلفها، شعر بشجاعته تهرب من بين يديه بعدما كان يخجل من إظهار ضعفه أمام المرأة التي أحبها. لم يهول إرنست من الأمر؛ فهناك بالفعل أمرا خطيرا قد أبقاه في هذا المنزل ليبحث عن أسراره الكامنة في كل زواياه.

أما إثيل فقد شعرت بغُصة في قلبها إبان ترك الصبي خلفها في هذا المنزل المتوحش، ليصبح فريسة لسحر السعي خلف الشهرة الزائفة لأباطرة الشعراء والأدباء. اقتربت إثيل من سيارتها ببطء وهى تفكر في خوف، لدرجة أنها تخيلت وجه ريجنادل كلارك في الظلام، وهو يبتسم ابتسامة وحشية، ويحمل ملامح جائعة بعيدة كل البعد عن مشاعر الطيبة والإنسانية، ليبقى فقط الشر والتهكم والسخرية.

(26)

سار إرنست في غرفته جيئة وذهابا، شاعرا بإثارة وقلق مما كشفته إثيل من أسرار، لدرجة أن كتابته لبضعة سطور على غرار "أحضر بأسرع حال، أحتاجك" إلى جاك، قد تطلب قدرا هائلا من ضبط النفس.

وبعد أن أعطى الرسالة للفتى موظف الاستقبال، هدأت ردود أفعاله وبدأ في النظر لخطته . وإن لم تكن رباطة جأشه كبيرة، فهو على الأقل على درجة كافية من الهدوء النفسي. الشيء الأغرب على الإطلاق هو أنه لم يستطع أن يكره ريجنالد رغم اقتناعه الشديد بتأثيره الشرير على حياته، شعر إرنست كمن يعبد صنم مُحطم مُلقى في الصحراء، ولا زال يشعر بروعته رغم الخراب المحيط به وبتكوينه.

أمسك بصورة سيده وصديقه واستسلم لغريزته الطبيعية الطيبة؛ الأمر مناف للعقل تماما! ذلك الرجل لم يكن بمثل هذا الشر، لم يكن هناك حقد أو كراهية على وجهه، وجه ملائكي لشاعر مخبول يخدم الفن. وفجأة، بدأ تحولا غريبا في الظهور على سماته؛ خطوط صغيرة وخبيثة حول فم ريجنالد، واتسعت ابتسامته متخذة شكل شريرا لسارق محترف.

لم يخف إرنست، فقد إعتاد ما يشعر بعدما اتخذت مخاوفه شكل محددا في الفترة الأخيرة . كان من الممكن يكن على أهبة الاستعداد للمواجهة، لولا الخوف الذي يهجم علينا في الليل جالبا معه هلاوس مرئية وغير مرئية، دافعا الطبيعة البشرية الحساسة إلى حافة الجنون، بعدما يقلب المحاربين الأشداء لجبناء خانعين.

إرنست قد أدرك ضرورة تأجيل التفتيش في أوراق ريجنالد حتى الصباح، متوقعا سماع صوت قدمي ريجنالد عند الباب في أي لحظة، نظرا لاقتراب الساعة من الحادية عشر مساء. وقبل يستسلم للنوم، قرر اتخاذ بعض الاحتياطات؛ أغلق باب الغرفة ووضع كرسيًا أمامه. وللتأكد من عدم اقتحام أي شخص فجأ، قام بتثبيت إناء خزفيا - قد أهداه به الرجل - في مقبض الباب، فإن حاول أن يدخل فجأة سيحدث صوت تكسير الإناء ما يكفي لإيقاظ الموتى أنفسهم.

على الرغم من عدم احتمالية وجود أقل شعور بالنعاس، إلا أنه قد ذهب ليمدد جسده على الفراش. وبمجرد أن لامست رأسه الوسادة، شعر كما لو أن أحدهم قد ألقى بكتلة معدنية فوق رأسه؛ يوم مضني لمن يمتلك جسد ضعيف وروح رقيقه مثله. سحب الغطاء حتى لامس الأخير أذنيه بحكم العادة ونام نوما عميقا دون قلق ، إلى أن استيقظ فزعا على صوت من يطرق الباب، كان الزائر هو خادم ريجنالد، وقد جاء ليخبره بأنه قد أعد وجبة الإفطار.

نهض إرنست وفرك عينيه، ثم اقترب من الباب ليتفحص إجراءاته الاحتياطية، كان كل شيء كما هو، لم يحاول أحدهم اقتحام الغرفة. ودن أن يشعر، ابتسم رغما عنه حين ذكرته تلك الأشياء بما كان يفعله في طفولته خوفا من اللصوص والأشباح.

بدت قصة إثيل عن مصاصي الدماء مستحيلة وعبثية في وضح النهار. ورغم ذلك، أصبح لديه الكثير من الأدلة عن تأثير ريجنالد الغريب، وكان مصمما على معرفة الحقيقة قبل حلول الظلام. رنت أصداء كلمات إثيل الغريبة في أذنيه؛ " الفكر أقوى وأكثر واقعية من الدم"، وإن كان ذلك هو الأمر، فلابد له أن يجد دليلا على سرقات ريجنالد الفكرية، ولربما يجد أجزاء من نفسه الضائعة، بعدما انتزعتها قبضة سارق الأحلام التي لا تعرف الرحمة.

لكنه لم يكن على استعداد لمواجهة ريجنالد وهو في حالته الذهنية الحالية، فقد كان مقتنعا أن الطبيعة البشرية للإنسان ستكشف عن نفسها له، وسيشعر بخوف قاتل لدرجة تجعله يصرخ كالمجنون.

لذلك قد ارتدى ملابسه ببطء، على أمل ألا يلتقي بمُضيفه. ولكن القدر قد أحبط آماله؛ فريجنالد قد بقى لفترة طويلة في المنزل هذا الصباح لتناول قهوته. أخذ رشفة أخيرة عندما دخل إرنست الغرفة، كان سلوكه لطيفا لحد كبير، وابتسم ابتسامة خيرة للصبي، بينما الأخير اتخذت تعبيرات وجهه مسلكا غاضبا وشريرا.

قال ريجنالد بلُطف: "لقد تأخرت هذا الصباح يا إرنست، هل قضيت الليل تتجول في المدينة أم تكتب شعرا؟ كلاهما غير صحي بالمرة". ومع إنهاء كلماته، شاهد الشاب ابتسامة غامضة ترتسم على شفتيه، شبهها إرنست بابتسامة الموناليزا في

وقتٍ مضى، ولكنها الآن ليست أكثر من ابتسامة لطيفة من رجل منافق، و رائد في الجرائم.

لم يتحمل ابتسامته، لم يعد بإمكانه حتى النظر لوجهه، تراخت قدميه أسفله، وتجمعت قطرات العرق الباردة على جبينه، ثم غرق في مقعده وهو يرتجف، محاولا تجنب نظرات الرجل الآخر.

وأخيرًا، نهض ريجنالد من مجلسه ليغادر. من المستحيل إتهام هذا الرجُل الرائع، المنتحل لشخصية ذو المروءة والإرادة القوية، بدا وكأنه لا يقهر؛ كقط أليف يسحر الأعين بجماله، أو نمر قوي يخشاه الجميع. ومع ذلك، من يستطيع الجزم بأن تلك المظاهر لا تحمل أسفلها قوة طفيلية لا رادع لها. إذا كانت شكوك إثيل في محلها، فهذا الشيطان قد أخذ من ضحاياه أكثر مما يمكن إدراكه.

وذلك يؤكد أن دماء العظمة الجارية في أوردته هى ملك لإرنست، ونيران أفكاره الوهاجة المسروقة، هى السبب في حمرة شفتيه الخبيثة!

(27)

استغل إرنست مغادرة ريجنالد للشقة، فنهض بسرعه من على مقعده، مدركا أن رغم حيازته للشقة طوال النهار دون أي مفاجآت بوصول الرجل مبكرا، إلا أنه شعر بأن الوقت المتوفر لا يسمح له بأي تأخير. دخل غرفة الأستوديو بقلب يخفق، ممتلئ بالتردد، شعر بأنه لم يدخلها منذ ما يقارب العام حين رحب به ريجنالد لأول مرة. لم يتغير فيها أي شيء، ولكنها قد أصبحت جانب من جوانب الشرور بداخل عقله.

تجاور تمثال أنطونيوس – عشيق الامبراطور الروماني-، ولوحة فون – نصف كائن ونصف إنسان -بجانب لوحة المسيح، ولكن كان لهذا التجاور مشهدا مضللا يوحي بالكفر الخالص. غضبت ملامح بازلزاك وشكسبير حين بدأ الصبي في التلاعب بأوراق ريجنالد، أو على الأقل، هذا ما تخيله من شدة خوفه. لم ينتبه لتمثال نابليون، إلى أن اصطدم به وانقلب من على المكتب وسقط أرضا، ليحدث ضوضاء تهز أرجاء الغرفة.

اقتحم عقله فجأة ذلك التشابه الغريب بين بالزاك، شكسبير، نابليون، وريجنالد؛ فقد مثلوا جميعهم التعبير المطلق للقوة والسعي وراء الغاية. وجه بالزاك كان نضرا، تملؤه الطيبة، بينما كان نابليون متوحشا، ملامحه شريرة شيطانية.

ظهرت أمامه على الحائط صورة الرجُل الأغنى على وجه الأرض. ربما كان ذلك الوصف من وحي خياله المحموم، لأن تلك الملامح لا تنم سوى عن عقل لص عظيم، يمتص أفضل ما فينا بوحشية، وهدفه الوحيد هو السرقة وحُكم الآخرين.

جميعهم وحوشا، لا يعرفون الشفقة ولا الرحمة، ولم يشغل عقولهم الشريرة سوى الازدهار والقوة، حتى ولو على حساب ضحاياهم.

لن تنفع الأسلحة العادية أمام أشخاص كهؤلاء ، فهم أقوى من جميع جيوش الأرض، ولا يمكن التغلب عليهم بسهولة في معركة. بل يجب أن يتسلح بأسلحتهم؛ فالخداع والتخفي أسلحة مشروعة. وفي تلك الحالة، الغاية تبرر الوسيلة، حتى لو كانت تلك الوسيلة هى السرقة.

بعد بحث طويل وغير مثمر في المكتب، حاول أن يفتح درجا سريا قد اكتشف يوما وجوده صدفةً. جرب عدد لا نهائي من المفاتيح، وقرر في النهاية أن يستسلم إلى أن يجد مفتاحا رئيسيا، ولكن فجأة، فُتِح القفل أخيرًا.

كشف الدُرج عن ملف كبير يحوي مخطوطات. توقف إرنست للحظات ليلتقط أنفاسه، ثم بدأت أصابعه في البحث بين الأوراق، إلى أضاءت عيناه حين وقعت على رزمة ضخمة، مكتوب عليها : "رواية/ليونتينا".

إذا فكل ما اعترفت به إثيل كان صحيحا، حلمه الضائع، اعتراف ريجنالد. هذا البيت الذي فتح صاحبه ذراعيه إليه، هو بيت مصاص دماء!

استطاع الفضول أن يخمد نيران سخطه الشديد، وبدأ في القراءة. تراقصت الحروف أمام عينيه، ارتجفت يداه، وإلى نجح أخيرا في جمع شتات نفسه، والكلمات التي كانت تترنح أمام ناظريه كالسكير، أصبحت في ترتيبا منظما. غمرته السعادة تارة، والذهول تارة أخرى، فما يقرأه هو أدبا أصيلا بحق لا شك في ذلك، والأروع أن ذلك الأدب ملكه. شعر بثقة رهيبة؛ بأنه لازال شاعرا وكاتبا عظيما.

استنشق نفسا عميقا، بينما السعادة تتغلب على كل إحساس سيئ بداخله. هذه القصة التي دونتها يدا غريبة قد نمت فصلا تلو الآخر، كان هناك بعض التغييرات الطفيفة عن الخطة الأصلية، ولكنها قصته.

تلك اليد المخادعة قد نقحت بعض الفقرات هنا وهناك، ولكنها لا تنتمي لذلك اللص رغم كل شيء. تجمعت الدماء في خديه مكونة لحُمرة الرضا والسعادة، بينما تناقلت أفكاره بين ذلك العمل الرائع وبين اسم سارقها الملعون.

وحين أوشك تقريبا على قراءة الفصل الأخير، سمع أصوات خطوات في الرواق، فسارع بإعادة المخطوطة لمكانها، وأغلق الدرج سريعا ليغادر الغرفة على أطراف أصابعه.

ريجنالد قد عاد للمنزل، ولكنه لم يكن بمفرده، كان هناك من يتحدث معه. بدا الصوت مألوفًا رغم أنه لم يستطع تمييز ما يقال، فاستمع باهتمام؛ - استحالة!-

جاك؟ جاك هو ضيف ريجنالد، الغريب هو استحالة وصوله في وقت مقاربا لميعاد إرسال إرنست للخطاب، أي قوة غامضة تلك، أي شعور قاتم هو من قاده لمساعدة صديقه في محنته؟ ولماذا ظل كل تلك المدة في غرفة ريجنالد، عوضا عن الإسراع للاطمئنان عليه؟

اقترب من باب غرفة ريجنالد بحذر، وحاول التقاط الكلمات من جاك:

- "أعلم أنه لأمر ممتعا ومريحًا، ومع ذلك أشعر أنه ليس المكان المناسب لي، ليس أنا – ومن بين كل الرجال- من يستطيع أن يحل محله"

أردف ريجنالد بإصرار: "لا داعي للقلق، فولدي الغالي قد أعرب عن رغبته في ترك المنزل خلال أسبوعين، أعتقد أنه سيذهب إلى مصحة خاصة؛ فأعصابه مرهقة بشكل مفزع".

- "لا يبدوا أمرًا عجيبا، خاصة بعدما رأيت هجومه المفاجئ عليك بعد قراءة مسرحيتك"

- "هذه الفكرة قد تحولت منذ ذلك الحين إلى هوس أحادي"

- "أنا حقا حزين جدا عليه، فقد كنت أهتم به أكثر من اللازم لوقت طويلة ، إلا أن رسائله كانت غريبة جدا في الفترة الأخيرة"

- "ستجده قد تغير كثيرا، في الواقع، هو لم يعد ذات الشخص الذي تعرفه"

- "لا، لم يعد الصديق الذي أحببته"

تشبث إرنست بالحائط، ملامحه قد التوت إثر عذاب وقع تلك الكلمات على أذنيه، بل كانت كل كلمة كمسمار اخترق جسده، كالمصلوب على صليب عاطفته التي عذبته.

حاول البكاء، فلم يستطع، جفاف عينيه لم يعطيه الفرصة. دخل إلى غرفته، وألقى بنفسه على السرير، ورقد بينما الألم يعتصر جسده وقلبه، جنبا إلى جنب مع الوحدة المضنية.

(28)

إحساسا فظيعا بالوحدة، ولكنه أقل وطأة من ألم مقابلة چاك، فبعد كل شيء، أصبحت هناك فجوة بينهما. وحدها إثيل من يمكنها تعزية روحه المُعذبة. هناك فراغ كبير في قلبه، وهي وحدها القادرة على أن تملأه. اشتاق للمس يديها، تمنى حضورها بشدة كمن تقتله الشهوة، وتجره الأحزان نحو هاوية الموت.

تسلل للباب بهدوء حتى لا يلفت انتباه الرجلين، بينما تخترق همساتهما قلبه كالخناجر. وحين وصل لمنزل إثيل، اكتشف أنها خرجت لشم بعض نسائم الهواء الطلق.

أدخله خادم المنزل للصالون، وهناك قد انتظر؛ لدقائق، لساعات، تجول في المكان وهو يقلب تفاصيل محادثة كلارك وچاك في عقله، اقتنع بأن چاك ما هو إلا ضحية لحصار ريجنالد الشيطاني لروحه البريئة، واعتبره ضحية جديدة لمخططاته الشريرة. ولذلك، شعر إرنست أن دوره قد حان لإنقاذ صديقه.

يجب عليه أن يحذره من الخطر الذي يهدد حياته، حتى وإن كانت تحذيراته ستطير في مهب الريح. ريجنالد قد أوحى لچاك أن صديقه مخبولا ويحتاج لرعاية، مما سيجعل أي محاولات مباشرة لتحذير چاك، تؤكد شكوك الأخير في حالته العقلية، وفي هذه الحالة، لم يجد سوى حل واحدا.

سيتوسل لريجنالد بنفسه، ويتحمل مواجهة المخاطر التي سيسببها خاطف الأرواح الملعون. سيبقى مستيقظا طوال الليل، لن ينام، وإن شعر باقتراب ريجنالد من الغرفة بحضوره الثقيل على الروح، سيواجهه بكل أوتي من قوة، سيهدده إن لزم الأمر لإنقاذ صديقه من الدمار.

قطعت إثيل حبل أفكاره بصرخة فرح بعدما عادت من جولتها ورأته في المنزل. لكن سعادتها قد تلاشت حين شعرت بالتغيير الذي طرأ على وجهه من شحوب وحزن. روى لها الصبي كل ما حدث في مكتب ريجنالد، مرورا بالمحادثة التي سمعها صدفة. إرنست قد لاحظ أن ملامحها قد لمعت حين أنهى كلماته، ثم سألته سريعًا:

"هل انتهيت من روايتك؟"

- "نعم، بنسبة كبيرة"

- "إذا أنت خارج نطاق الخطر، ولن يحتاجك بعد الآن. ولكن يجب أن تأخذها معك"

- "لم أكن في الحالة النفسية السليمة، فقررت إعادتها مكانها في الدُرج. سأستحوذ عليها في الغد"

- "وبالنسبة لچاك؟"

أوشكت على نسيان السؤال عنه من الأساس، فالنساء أنانيات مع من يحبون.

أكملت فقالت: "يجب أن تحذره"

- "سيسخر مني، المهم أن أتحدث مع ريجنالد"

- "الحديث معه غير مجدي، أو على الأقل، تحدث معه بعدما تستحوذ على المخطوطة، فمن السهل أن يعرض مخططاتنا للخطر"

- "وبعد ذلك؟"

- "وبعد ذلك تصب تركيزك بأكمله، على عدم تعريض نفسك لأي خطر"

أردف قبل أن يُقبلّها: "لا يا عزيزتي، فما هو الخطر يجب أن أتخذ احتياطاتي من أجله؟ هذا الرجل يهاجم في الظلام أو وقت نومي"

- "علي كلٍ، كن حذرًا"

- "سأفعل، على العموم، أنا متأكد أنه حاليًا ليس بالمنزل، سأستحوذ على المخطوطة وأخبئها قبل عودته"

- "كلما فكرت في وجودك بداخل هذا المنزل، لا يسعني سوى الارتجاف"

- "بعد يومين بالضبط، لن يكن هناك سبب للارتجاف"

- "هل سأراك غدا؟"

- "لا أعتقد ذلك، فيجب أن أراجع أغراضي وأوراقي، لأكون مستعدا لمغادرة المنزل في أي لحظة"

- "وبعد ذلك؟"

- "بعد ذلك ..."

تحضتنها إرنست بين ذراعيه، ونظر نظرة مطولة في عينيها. أردفت قائلة: "بالتأكيد...على الأقل، ربما...سأبقى في حضنك لعدة أيام"

التفت ليغادر بسعادة وأمل متجدد، كم هو غريب أنه قد نضج فكريا منذ الصيف! فكرت في ذلك بينما قلبها يتضخم من شدة الفرح الذي يسكنه، بعدما شعرت أنه حبه هو من أحدث هذا الفرق.

- "بما أنني لا أتوقع قدومك في الغد، فمن المحتمل أن أذهب للأوبرا، وسأعود للمنزل قبل منتصف الليل، هل ستتصل بي؟ إن كلمة واحدة منك ستجعلني أرتاح طوال الليل، حتى لو جاء صوتك عبر الهاتف فقط"

- "بالطبع سأتصل بكِ، فنحن الحديثون لدينا ميزة عن أجدادنا القدماء في هذا الأمر؛ فيمكن لـ(بيراموس) القرن العشرين أن يتحدث مع (ثيسبي)، حتى لو فصلت بين جسديهما جُدران لا حصر لها"

- "تشبيه غريب! دعنا نأمل فقط أن تنتهي قصة حبنا بشكل أقل مأساوية"، مررت يديها بين خصلات شعره، ثم أكملت: "سنكون سعداء، أنا وأنت؛ لقد تزحزح قليلا إصبع القدر الحديدي القابع فوق حياتنا. نعم، قليلا فقط".

هاجمها شعور مفاجئ بالخوف، فصرخت في إرنست: "لا تغادر لا تغادر! إبق معي، أشعر بخوفا شديدا، لا أعلم ما الذي أصابني. أنا خائفة، خائفة عليك بشدة"

- "يا عزيزتي، لا داعي للخوف، فقط فكري أنك بأعماق قلبك تريدينني أن أنقذ صديق طفولتي، بالإضافة إلى كونك لا تحبين أن أترك أفضل عمل فني قد أنجزته

في حياتي، بين مخالب الملعون ريجنالد"

- "لماذا تعرض نفسك لخطر مساعدة صديقٍ، على استعداد تام لخيانتك؟"

- "هل نسيتِ أن الصداقة هدية، وإن تطلبت أجرًا بأي شكل من الأشكال فلن تعد صداقة حقيقية؟ أنت بنفسك قد أكدتِ لي أنني بأمان؛ فلم يعد لدي ما أعطيه لريجنالد"

احتمت بكلماته، واطمأنت قليلا بينما قد أغلق الباب وخرج. مشى إرنست مسافة بضعة بنايات بخفة شديدة، ثم تباطأت وتيرته؛ فكلماتها قد أزعجته قليلًا، وعندما وصل لمنزل ريجنالد، لم يستأنف بحثه لاكتشاف أوراق ريجنالد المخفية.

وبالكاد أشعل سيجارة، حتى سمع صوت مفتاح ريجنالد في قفل الباب الرئيسي. فأطفأ الأنوار لتصبح الغرفة شبه معتمة، بفعل مصباح صغير بجانب السرير. غير أنه قد قام بتحصين الغرفة كما الليلة السابقة، ثم استلقى في الفراش دون أن ينام.

ساد صمتا مطلقا على المنزل، حتى صوت المصعد قد توقف معلنا إنهاء نوبة عمله. استرق إرنست السمع بكل حواسه، لا بالأذنين فقط؛ كان ريجنالد يمشي جيئة وذهابا في الأستوديو.

لم تفلت أدنى تفصيلة من مسامع إرنست، ساعات كاملة وهو يستمع؛ دقت الساعة الثانية عشرة، وكان لازال صوت المشي صعودًا وهبوطًا، صعودًا وهبوطًا ، حتى الساعة الواحدة. ورغم ذلك، لم يتوقف الإيقاع الثابت لخطوات الرجل. وكأن خطوات ريجنالد المحسوبة كانت بمثابة المنوم، فعلى الفور، استسلم إرنست لنداء الموت المؤقت.

نام، لم يكد يغلق عينيه لدقائق وإذ بكابوس رهيبب-وإن لم يكن كابوسا من الأساس – يعذبه مرة أخرى؛ شعر بتلك الأصابع الشريرة المدببة، وهى تخترق طيات عقله، مرورا بخيوط عصبية لا تعد ولا تحصى، وصولا لأعمق مشاعر الراحة النفسية. سعى شيئا ما في لا وعيه لإيقاظه، فشعر بالأصابع وهى تنسحب في هدوء.

كاد أن يقسم في قرارة نفسه أنه سمع صوت صرير الأرضية، إثر خطوات من

يمشي في الغرفة. قفز من على السرير والعرق يحممه حتى وصل لزر الإنارة، لم تكن هناك علامات على وجود أي شخص معه. الحاجز كما هو عند الباب، ولكن عباءة الخوف العظيمة قد خيمت فوق أجنحة روحه.

ومع ذلك، لم يكن هناك أي شيء، ولم يقتنع أن ريجنالد كلارك كان في الغرفة منذ لحظات ليمارس سرقاته المروعة. بينت المرآة فوق المدفأة وجهه فقط، ببشرته البيضاء ونظرات الإثارة؛ ملامح حقيقية لرجلٍ مجنونًا.

جاء البريد في الصباح ومعه رسالة من إثيل، بضعة سطور تشجيعية وكلمات تحوي الحب والمودة. بالتأكيد إثيل كانت محق، فلن يجدي بقائه أسفل سقف واحد مع ريجنالد بعد الآن، كل ما عليه فعله هو الحصول على المخطوطة، وإن أمكن، قد يفاجئ ريجنالد بمعرفته كل شيء قبل أن يمارس قوته الإجرامية الغامضة عليه. عندها فقط، سيكون في موضع قوة ليطالب بإطلاق سراح چاك كثمنًا لصمته.

ريجنالد قد أغلق على نفسه الأستوديو في هذا اليوم، وانشغل بكتاباته. لم يصدر أي صوت في المنزل سوى صوت أصابعه على الآلة الكاتبة الخاصة به، معلنًا عن وجوده الخفي.

لم تكن هناك فرصة للحديث، أو الحصول على المخطوطة الثمينة "ليونتينا"، فشغل إرنست نفسه في ترتيب أوراقه وحزم أغراضه استعدادا للمغادرة في أي وقت. ومع صب تركيزه على الاستعداد للرحيل، لم يدرك مرور الدقائق والساعات بسرعة، ليعلن الليل عن وجوده.

خلع ملابسه جزئيا، وألقي بنفسه على السرير. دقت الساعة العاشرة، فتذكر وعده

لإثيل بالاتصال بها في الثانية عشر، كان مصمما على عدم النوم في تلك الليلة، حتى يتثنى له اكتشاف ريجنالد إن دخل غرفته سرا كما الليالي السابقة.

مرت ساعة كاملة دون مفاجآت، فشعر بالهدوء يتسلل بداخل جسده، واغلقت عينيه تدريجيا، إلى أن تخيل وجود شيء يتحرك هناك عند الباب. سقط الإناء الخزفي على الأرض، فانتفض إرنست ونهض من على السرير. ابيضَّ وجهه -أكثر من بياض الكتان المستخدم في لف أجساد الموتى - من شدة الرعب، ولكن روح الغضب بداخله كانت متأهبة.

ضغط على زر الإنارة فأضيئت الحجرة بأكملها، لم يكن هناك ركنا واحدا يخفيه الظل. ومع ذلك، لم يتمكن من رؤية أحد، بل والباب لم يفتح من الأساس.

انتفضت ساقه حين لمسها شيئا ناعما، فجمع كل إرادة الكون كيلا تنفجر منه

صرخة مدوية. ثم ضحك، ضحكة ليست من القلب إثر فزعه السابق. كان هناك أنفا صغير وذيل يرتعشان، فكلّ مصدر الاضطراب كان لقطة مالطية صغيرة -وهى النوع المفضل لديه- دخلت غرفته صدفة، وبعد قضاء بعض الوقت من اللعب والقفزات البهلوانية، هدأ الحيوان واستسلم للنوم بجانب سرير إرنست.

كان وجود كائن حي بجانبه يمثل راحة يفتقدها، بجانب أن خزان قوته قد أوشك على إعلان إفلاسه، ورغما عنه، استسلم للنوم وهو يحاول الحفاظ على استيقاظه ليفي بوعده لإثيل، ومرت ساعة على هذا النحو.

فجأة، تجمدت الدماء في عروقه من الخوف؛ شعر بيد ريجنالد كلارك – بشكل لا يحتمل الشك – تلمس دماغه كما لو أنه كان يبحث عن شيئا ما لازال هاربا من براثنه. حاول الصبي أن يتحرك، ولكن أطرافه قد شُلت بالكامل. وبجهد خارق، نجح في التخلص من شعور الخدر المُقيد لجسده كالسلاسل، واستيقظ في الوقت المناسب ليرى كيان، أقرب لرجُل، يختفى عبر الجدار الفاصل بين غرفته وغرفة ريجنالد.

تلك المرة لم تضله حواسه، وتأكد من سماعه صوت باب سري يغلق بهدوء خلف خطوات صاحبه المُنسحبة. سيطر عليه غضب عارم تخطى أية مفاهيم أخرى عن الغضب، غضب الغفلة والثقة في ذلك الشيطان، غضب الإنسانية المغتصبة، غضب من أحب الحق وكره الباطل.

القانون يسمح لنا بإطلاق النار على سارق يمد يده في جيوبنا، هل يجب عليه أن يتسامح مع هذا اللص، سارق الأرواح الغادر؟ هل يجب أن يتمتع بثمار ما زرعه غيره دون عقاب؟ هل يجب أن يستمر في النمو ليصبح أقوى شاعر وكاتب أدبي في القرن من خلال استغلال أفضل ما لديهم؟ إيبل، ووكهام، إثيل، چاك، وهو، ضحايا هذا الوحش الشره. ألن تنتهي قوة هذا الشيطان التي لا تقاوم؟

- "لا، وألف لا!".

اندفع إرنست بقوة نحو مكان الباب السري الذي دخل ريجنالد منه، ليجد نفسه

في ممر سري. انطلق متسلحا بدافع الغضب والكراهية نحو الغرفة المجاورة؛ غرفة ستوديو ريجنالد كلارك. كان الأخير جالسا على مكتبه يدون بعض الملاحظات على قصاصات صغيرة كعادته.

وحين اقترب إرنست منه، نظر إليه ريجنالد دون أدنى علامات الدهشة أو المفاجأة. بل وضع ذراعيه حول بعضهما على صدره بهدوء وهيبة. لكن ذلك البريق المخيف، قد لمع من عينيه وهو ينظر لضحيته بنظرات المواجهة.

(30)

واجه الرجُلان بعضهما البعض في صمت، إلى أن همس إرنست بصوت حانق: "لص..!"

هز ريجنالد كتفيه بلا مبالاة، فأكمل إرنست: "مصاص دماء!".

- "حقا؟ إذا إثيل قد نقلت إليك عدوى أوهامها السخيفة، يا لك من ولد مسكين! كنت أرغب في إخبارك منذ وقت طويلا، أعتقد أننا قد وصلنا لمفترق طرقنا"

- "هل تجرؤ أصلا على إخباري؟"

ازداد غضب إرنست طرديا مع هدوء ريجنالد، فقال الأخير بمنتهى الهدوء: "أنا لا أفهم حقًا، أطلب منك أن تغادر غرفتي!"

صرخ إرنست فيه: "أنت لا تفهم حقا؟ يا لك من وغد"، ثم اقترب من الدُرج السري وأخرج منه الأوراق بغضب وألقى معظمها على الأرض وهو يبحث عن ضالته، إلى أن وجد قصته وألقى بها على الطاولة، فظهر من بعض أوراقها تصحيحات قد تمت منذ لحظات بالقلم الحبري. علق ريجنالد وقال: "هل جئت لتُخرب مخطوطاتي؟"

"مخطوطاتك؟ أنت محتال ووقح يا سيد ريجنالد كلارك، أنت لم تكتب كلمة واحدة خاصة بك من الأساس، أنت مجرد مختلس للأفكار، تمشي مختال بنفسك في حياة تملؤها السرقات"

وفي غضون لحظات، سقط القناع عن وجه ريجنالد الحقيقي، فقال بهدوء مع بضعة لمسات من الغضب: "من قال أنها سرقة؟ ، أنا أمتص، أقتبس دون استئذان، وهذا ما يفعله الفنان الحقيقي الطبيعي. الرب يخلق، والبشر يشكلون. هو يعطينا الألوان، ونحن نخلطها.

- "ليس هذا ما يعنيني، أنا أتهمك بالتدخل في حياتي عن عمد وبشكل إجرامي؛ أنا أتهمك بسرقة ما أملك، أنت شخص حقير وجشع، كائن طفيلي منافق"

صاح ريجنالد بقوة : "صبي أحمق! سينجو أفضل ما فيك من خلالي أنا فقط، حتى

في زمن الإليزابثييون، شكسبير كان يمتص القدرات العظيمة للرجال الصغار ، تلك العظمة كانت ستهلك لولا ذلك، وهو فقط من أعطاها مكانًا، أعطاها حياة"

- "وحده اللص من يدّعي شيئا كهذا، أنا أعرفك تمام المعرفة؛ غرورك المُفرط هو من يدفعك لإساءة استخدام تلك القوة الوحشية"

- "أنت مخطئًا؛ لم ترتكز أفعالي على حُب الذات، فأنا غير مهتم بشهرتي الشخصية. أنظر لي يا فتى! بينما أقف أمامك الآن أنت ترى هوميروس بداخلي، أنا شكسبير، أنا كُل مظهرا كونيا من مظاهر الفن، يشك الرجال في وجودي المادي، والمؤرخون لديهم ما يقولوه عن أي شاعرا أو كاتبًا تعسا، أكثر مما سيقال عني. روعة عملي تكمن في حجب نفسي، أنا بالفعل لا أهتم، فلدي مهمة واحدة؛ أنا العبد المطيع للرب، أنا السفينة التي تحمل القرابين له"

ثم وقف على قدميه، ليتجلى طول جسده الكامل، مضافا إليه تجسدا للعظمة والهيبة. وكأن هناك قوة هائلة في أطراف أصابعه؛ مثل دينامو عملاقا مشحونا بقوة توازي قوة عشرة آلاف عاصفة مغناطيسية، تهز الكرة الأرضية في مدارها، وتضرب عددا من الكواكب ببعضها البعض عبر فضاء لا حدود له.

قد يستسلم إرنست، أو أي رجل آخر في ظل ظروف مشابهه أمام قوة ذلك الشيطان. ولكن شجاعة الصبي قد نمت أكثر في ظل تلك اللحظة الملحمية، ازدادت ثقته بوجود سيف الانتقام بين يديه، مدججا بمشاعر غاضبة إثر ما حدث مع إبيل، ووكهام، إثيل، وچاك. صراعا نفسيا فرديا، ضد المصير الأعمى والقاسي، قد تؤدي عواقبه لنفس مصير كائنات الإكتصيور والماستودون في الماضي السحيق.

صرخ إرنست قائلًا: "بأي حق تفترض أنك مسيح الأدب؟ من قد نصبك؟ ما القوة الإلهية التي وكلتك لتغتصب وتسرق ضحاياك؟"

- "أنا حامل الضياء، أسير على تلال البشرية المرتفعة ممهدا الطريق لمستقبل البشرية، ولأضيء هاوية الماضي. إن لم يكُن تكويني عمالقيًا، فكيف لي أن أحمل الشعلة في أوجه الرجال وبصائرهم؟ ستدرك النفوس التي أسيرها تحت أقدامي،

وستتبعني نظرات عيونهم المحتضرة مكونة لاحتمالات ازدهار المستقبل، ليصبح آمنًا للأبد. أنا أحمل جوهر كُل ما هو كوني، كُل ما هو إلهي. أنا هوميروس، أنا جوته، أنا شكسبير، أنا تجسيد لنفس القوة، التي جسدها الإسكندر وقيصر وكونفوشيوس، والمسيح أيضًا...لا أحدا يمتلك القدرة على مواجهة قوتي"

انتابت إرنست حالة جنونية وهو يستمع لكلمات الرجل المُختال بنفسه، المتباهي بقوته؛ حفزه غرور الرجل بأن يهجم الأن، أو يتراجع للأبد. يجب أن يخلص البشرية من هذا المجنون الخطِر، شيطان القوة المتجبر. ومع تكثيف قوته لعشرة مرات ضعف قوته، رفع كرسيًا ثقيلًا ليقذفه على رأس ريجنالد ويسحقه. وقف الأخير بهدوء، وظهرت ابتسامة خفيفة على شفتيه، وانطلقت قسوة بدائية من أعماق طبيعته البشرية. لازال مبتسمًا وهو يلقي بنظراته المُشعة على الصبي، فبدأت يد إرنست في الاهتزاز، وسقط الكرسي من بين قبضته، حاول من داخله أن يستغيث، ولكن شفتيه أبتَ إصدار أي صوت، شُل وجهه تمامًا، وشهد على تعرضه لتلك القوة الغامضة لوقت أطول مما اعتقد في مخيلته، تعدى الأبدية المُطلقة.

ظلت تلك النظرات الشيطانية مُثبته عليه، ولكن صاحبها لم يُعد كما هو؛ لم يعد هناك ريجنالد كلارك، بل دماغًا، دماغًا فقط! آلة كبيرة يتحكم فيها دماغًا ضخمًا، معقدًا تكوينه، قويًا بلا رادع. وعلى مسافة أميال من وعي إرنست الواقع تحت تأثير ذلك الشيء، سمع صوت جرس الهاتف يرن مرة، وإثنان، وثلاثة بإصرار، لكن الصبي لم يملك القوة على الإجابة. شيئًا ما قد أمسك به، وسحب أعصاب جسده، وظل يسحب ويسحب.. امتصاص بلا مقاومة، بلا شفقة، بلا عاطفة.

شرر أزرق وآخر قرمزي وآخر بنفسجي يرتعشان حول بطارية عملاقة تُدير هذا الكائن الغريب. وصلت ممصاته إلى أرق ألياف عقل الصبي، واختفى كل شيء تدريجيا وببطء؛ الإرادة أولًا، يليها الشعور، ثم الذاكرة، وحتى الخوف، كل ما تم تخزينه في خلايا دماغه قام المحرك الجبار بامتصاصه؛ رأى الأميرة ذات الوشاح الأصفر، طارت عبر أرجاء الغرفة، ثم تلاشت...تبعتها ذكريات طفولته...وجوه أولاد وفتيات...أمه المتوفية تلوح بذراعها إليه وهى تمر من امامه، ثم قبلّت رأسه سريعا

قبلما تختفي بدورها...صورة تتبع الأخرى...كلمات الحب التي قالها يوما ما...خطايا قد ارتكبها، وفضائل حاول أن يُكفّر بها عن خطاياه...مشاعر السعادة أحاسيس الخوف...حتى الصيغ الرياضية، ومقاطع الأغاني. ليونتينا، مشروع حياته يتآكل هو الآخر...لا، إثيل أيضًا...حاولت التحدث إليه...حاولت تحذيره...لوحت بيدها في يأس مرير، إلى أن اختفت هى الأخرى...ثم...ظهر وجه شاحب، شعره داكن أشعث...چاك! كيف تغير لهذا الحد، يقف في دائرة امتصاص ريجنالد – أو ما تبقى منه -.

صرخ إرنست: "چـــاك!"

كان لديه ما يشرحه، شيء ما ليخبره به... بعض الكلمات التي لربما قد تجلب لروحه السكينة. رأى الكلمات ترتعش على شفتي الفتى، وقبل إتاحة الوقت للتلفظ بها، اختفى هو الآخر..ريجنالد أيضًا قد رحل هو الآخر...لم يتبقى سوى دماغ عظيم الحجم...يلهث بشكل مرعب...يدور حول نفسه...إلى أن انتهى كل شيء... واكتملت عملية تدمير إرنست فيلدينج.

حدق في الجدران، في الغرفة وفي سيده الذي تجددت ملامحه قبلما يمسح عرق الإجهاد من جبهته بعدما تدفقت بداخله دماء الشباب. تلألأت عيناه بتألق جديد ومُرعب.. بعدما امتص - ممن كان يدعى يوما ما إرنست فيلدنج – أغلى ما حاول الحفاظ عليه في كل لحظة من حياته.

مع لحظات الصباح الأولى، ظهرت إثيل على أعتاب باب المنزل الواقع على طريق ريفرسايد. إثيل لم تسمع أي شئ عن إرنست منذ الليلة الماضية، مما أدى لهياج مشاعر القلق في قلبها الذي تقافز أمامها قبل خطواتها.

أجبرت چاك على الإسراع، بينما يصطحبها للاطمئنان على الصبي. وأثناء اقترابهما من المنزل، خرج من الباب الرئيسي كائنا ما يشبه إرنست فيلدينج. يبدو مثله في تكوينه الخارجي، ولكنه أكثر بهتا ووحشية، طرأت عليه تغيرات غريبة جعلت عقله في حالة غياب تام.

صرخت إثيل: "سيد فيلدينج!"، وهى تشاهده ينزل درجات السلم بهدوء. شهق چاك في فزع وقال: "إرنست!"

تبع رأسه الصوت دون أن تضئ شرارة واحدة في عينيه للتعرف على المصدر. أصبح بلا ماضٍ... أو حاضر... أعمى، يثرثر ترهات غير مفهومة، وهو يتعثر على درجات السلم... كالمجذوب.

عن الكاتب



چورج سلفيستر فيريك، هو شاعر وكاتب ألماني، ولد في 1884، وتوفي عام 1962. قام بالعديد من المقابلات بعض مشاهير عصره مثل "أدولف هتلر"، والعالم "ألبرت أينشتاين".

من أهم أعماله:

- نينوي وقصائد أخرى 1907
- اعترافات بربري 1910
- الشمعة والشعلة 1912

عن المترجم والكاتب حلمي مطر

ولد بمحافظة الإسكندرية في 1989، بدأ الكتابة والترجمة في العشرين من عمره، صدر له مجموعة قصصية عن مركز إنسان للنشر والتوزيع، بعنوان "حكايات الظلال 2021"، ونوفيلا عن مركز إنسان للدراسات والنشر والتوزيع بعنوان "بيات شتوي 2022".

فائز بجائزة "ومضة" ضمن أفضل قصص مكونة من خمسة وعشرون كلمة في مجال الرعب، من "كتوبيا" للنشر والتوزيع.

تعاقد على نشر سلسلة روايات للجيب، سيصدر أول عدد منها في معرض القاهرة للكتاب 2023، عن "الواحة" للنشر والتوزيع"

تعاقد مع دار "ن" للنشر والتوزيع لصدور روايته في معرض القاهرة للكتاب 2023.

ترجم عدة قصص على حساب الفيسبوك الخاص به، فضلا عن عدد من القصص المؤلفة.